الاتباع والسادة
دراسة فى ظاهرة التبعية الشخصية
فى العصر البيزنطى الأوسط

دكتور/ وسام عبد العزيز فرج
كلية الآداب — جامعة المنصورة

كانت الامبراطورية البيزنطية دولة مركزية متعددة الموارد من دول العصور الوسطى • وكانت السلطة وأمور الحكم تتركز فى شخص الامبراطور الذى كانت سلطاته مطلقة من الناحية النظرية والعملية على حد السواء[1] • وكان يعاون الامبراطور ويعمل فى خدمته جهاز ادارى متكامل على رأسه عدد من كبار الموظفين الذين شغلوا المناصب وحملوا الألقاب المميزة ، ويليهم فى التسلسل الوظيفى موظفو الادارات المختلفة فى ترتيب دقيق • وكان لكل منصب صلاحيات محددة كما كان لكل موظف لقب يحدد مكانته بدقة فى مراسم القصر الرسمية • لقد تميزت الامبراطورية بهذا الجهاز البيروقراطى ، وبفضله كانت الادارة البيزنطية متفوقة على ادارات الكيانات السياسة الأخرى فى أوربا العصور الوسطى • ورغم التغير المستمر لشخص الامبراطور تميزت الادارة الامبراطورية بالثبات والاستقرار والاستمرار ، فهرم المناصب والألقاب استمر طوال تاريخها وان دخلت عليه بعض لاضافات والتعديلات كما استمرت المراسم الرسمية للاداء الحكومى • وبفضل هذا الجهاز البيروقراطى الادارى نجحت الامبراطورية فى تجنب الوقوع فى الفوضى فى كثير من الأحيان[2] •

---

(1) Jones, LRE, I, 321; Mango, Byzantium, 32.

(٢) قارن : Bréhier, Institutions, 168.

لقد حاول أباطرة بيزنطة مرارا العمل على نقل التاج لخلفائهم وتأمين التعاقب على العرش من بعـــدهم وذلك بتعين الواحـــد منهم امبراطورا مشاركا له خلال حياته ، ورغم ذلك لم تنجح أية أسرة حاكمة فى الاحتفاظ بالعرش الامبراطورى لفترة طويلة • فمعظم الأسر حكمت لفترات معينة من الزمن وشهدت نهايتها على يد شخص دخيل من خارجها نجح فى اعتلاء العرش الامبراطورى وبدأ تأسيس أسرة جديدة • وربما لا يجوز أن نطلق على هؤلاء الدخلاء مغتصبين للتاج لسببين : الأول أن الامبراطورية البيزنطيةكامتداد للامبراطورية الرومانيةلم تكن ، من الناحية الدستورية ، امبراطورية وراثية بل انتخابية ، وسعود لحدث عن هذه النقطة بعد ذلك • والسبب الثانى أن الســلطة الامبراطورية فى الدولة الرومانية وصل اليها أولا جوليوس قيصر Julius Caesar ثم اكتافيانوس أغسطس Octavianus Augustus بعد صراع وتنافس مع آخرين وفى النهاية فاز بها الشخص الأكثر كفاءة والأوفر حظا[٣] • ومنذ القرن الثالث الميلادى أصبح فى امكان أى طامع فى التاج الامبراطورى الفوز به طالما كان قادرا على ترجمة طموحه الى حقيقة واقعة مهما كان أصله أو بيئته الأولى • فالنجاح يكسب الثورة الشرعية[٤] • وعلى هذا فان نجاح رجل قدير من بيئة فقيرة فى الفوز بالتاج واعتلاء العرش الامبراطورى لايعتبر فقط ظاهرة مألوفة فى التاريخ البيزنطى ، بل انه أيضا حدثا لا يتعارض مع التقاليد السائدة فى الامبراطورية[٥] • فالمجتمع البيزنطى كان مجتمعا مفتوحا يسمح للفرد الذى يملك المواهب بالارتقاء الاجتماعى حتى القمة مهما كان أصله أو بيئته الأولى •

ان استعراض الظروف التى أدت بالبعض الى الارتقاء الاجتماعى واعتلاء العرش الامبراطورى فى العصر البيزنطى الأوسط تقودنا الى

(3) Toynbee, Constantine, 12-13.

(٤) اذا فشلت ثورة الطامع فى العرش فانه ينال عقوبة الموت ، اما اذا نجح فان انتصاره دليل على أن الرب قد تخلى عن الامبراطور المخلوع ، انظر : Ensslin, Government, 6.

(5) Toynbee, Constantine, 13.

ظاهرة التبعية الشخصية أو جماعات الاتباع والسادة فى المجتمع البيزنطى .

ولتوضيح ذلك يجب أن نبدأ بمثال تاريخى ونتناوله بالتفصيل ، ولهذا سنبدأ بالظروف التى أدت الى اعتلاء باسيل المقدونى (٨٦٧ — ٨٨٦) العرش الامبراطورى .

كان الامبراطور ميخائيل الثالث (٨٤٢ — ٨٦٧ م) آخر ممثلى الأسرة العمورية التى أسسها الامبراطور ميخائيل الثانى (٨٢٠ — ٨٢٩). وكان ميخائيل الثانى وابنه ثيوفيل Theophilus (٨٢٩ — ٨٤٢) من أنصار تحريم وتحطيم الصور والايقونات . وبعد وفاة ثيوفيل قامت أرملته تيودورا Theodora — والدة الامبراطور ميخائيل الثالث — بمخالفة سياسة زوجها الراحل وقررت تغير الأوضاع والعودة الى تقليد عبادة الصور والايقونات سنة ٨٤٣م[٦] .

وتولت ثيودورا مع عدد من كبار موظفى الحكومة البيزنطية وعلى رأسهم ثيوكتيستوس Theoctistus [٧] ، ادارة الامبراطورية فى شكل مجلس وصاية على ابنها الصغير ميخائيل الثالث الذى كان فى الثالثة من

(٦) عن الخطوات التى اتخذتها ثيودورا للعودة الى عبادة الصور والايقونات فى مارس سنة ٨٤٣ ، انظر :

Theoph. Cont., 148-160.

وانظر ايضا :

Dvornik, Iconoclasm, 72-74; Mango, Liquidation, 133; Ostrogorsky, State, 194-195; Jenkins, Imperial Centuries, 154.

(٧) كان ثيوكتيستوس Theoctistus يشغل منصب السكرتير الامبراطورى وحامل محبرة الامبراطور ثيوفيل . وفى أواخر عهد ثيوفيل اصبح يشغل ايضا منصب اللفثيت Logothetes Tou Dromou جانب منصبه الأول. ويعتبر منصب اللفثيت من أرفع المناصب فى القصر الامبراطورى ويتولى صاحبه مسئولية توجيه السياسة الامبراطورية والشئون العامة كما يلعب الدور الرئيسى عند استقبال السفراء الأجانب ، للمزيد عن هذا المنصب انظر :

Bury, Admin. System, 91-93.

عمره • واحتاج الأمر الى انقلاب داخل القصر لانهاء هذه الوصاية سنة ٥٨٦ • وكان عمر ميخائيل الثالث فى ذلك الوقت سبعة عشر عاما ، وكانت علاقته بأمه ثيودورا قد ساءت بسبب القيود التى فرضتها على حريتها وحياته الشخصية[٨] •

ولا شك أن نجاح هذا الانقلاب يرجع الى براعة وطموح برداس Bardas شقيق الامبراطورة الأم وخال ميخائيل الثالث ، أكثر مما يرجع الى جهود ميخائيل الشخصية • وعلى الفور حل برداس محل ثيوكتيستوس Theoctistus فى ادارة الحكومة البيزنطية لصالح ميخائيل الثالث الذى أعطاه سلطات واسعة ثم أنعم عليه بلقب قيصر[٩] • ويلاحظ أن ميخائيل الثالث لم يكن ميالا للعمل الروتينى الخاص بادارة الامبراطورية ، ولهذا كرس معظم وقته للصيد وركوب الخيل وحياة اللهو والمجون • وهكذا تولى برداس ادارة الحكومة البيزنطية لمدة عقد كامل امتد من سنة ٨٥٦ وحتى سنة ٨٦٥ ، وكانت هذه السنوات العشر واحدة من ألمع الفترات فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية[١٠] • ولكن فى ٢١ من ابريل سنة ٨٦٥ ، تخلص الامبراطور ميخائيل الثالث من برداس الذى أصبح عبئا ثقيلا عليه ، وذلك بقتله على يد رجل جديد هو باسيل المقدونى • وفى ٢٦ من مايو سنة ٨٦٦ م قام الامبراطور ميخائيل الثالث بالانعـــام

(٨) فمثلا فى سنة ٨٥٥ ، حين كان ميخائيل الثالث فى الخامسة عشرة وحين علمت والدته الامبراطورة بهذا الأمر قامت بقطع العلاقة بينهما لأنها رأت أن هذه الفتاة الى أصل ، وفرضت على ابنها الزواج من فتاة أخرى تدعى ايدوكيا ديكابوليتا Eudocia Ingerina • ولقد أثار هذا العمل حنق Eudocia Decapolita من عمره ، ارتبط بعلاقة مع فتاة تدعى ايدوكيا انجرينا ميخائيل فأخذ يتطلع للتخلص من وصاية أمه ، انظر :

Georg. Mon. Cont., 816.

وانظر ايضا :

Jenkins, Imperial Centuries, 159-160.

(99) Ostrogorsky, State, 198.

(10) Jenkins, Imperial Centuries, 160.

على باسل المقدونى بمنصب الامبراطور المشـــارك[11] . وفى ٢٣ من سبتمبر سنة ٨٦٧ قام باسيل المقدونى بقتل ميخائيل الثالث ولى نعمته ، وأصبح باسيل (٨٦٧ — ٨٨٦) امبراطورا منفردا وقام بتأسيس أسرة

---

(١١) بالنسبة لمقتل القيصر برداس Bardas اختلفت المصادر فى رواية دور باسيل المقدونى . فقد حرض الامبراطور قسطنطين الســـابع فى مؤلفه عن سيرة جده ، على تبرئة باسيل من جريمة قتل القيصر . كذلك كان حال المؤرخ المجهول الذى كتب الفصول الأربعة الأولى من كتاب صلة ثيوفانس بناء على أوامر قسطنطين السابع . وطبقا لهاتين الروايتين فان جريمة قتـــل القيصر برداس كانت من تدبير الامبراطور ميخائيل الثالث وبالاشتراك مـــع زوج ابنة القيصر ، وقام اتباع الامبراطور ميخائيل بتنفيذها ، انظر :

Vita Basilii Imperatoris, 235-238; Theoph. Cont., 204-206.

وبالطبع تخالف هذه هذه الرواية الحقيقة التى ذكرها الماجستير سيميون Sumeon Magister ونقلها عنه مؤرخون آخرون بعد ذلك . وتتلخص الحقيقة التى كرها سيميون فى أن باسيل المقدونى هو الذ خطط ونفذ قتـــل القيصر برداس بالاتفاق مع الامبراطور ميخائيل الثالث ، انظر :

Georg. Mon. Cont., 831; Les Grammaticus, 245.

وجدير بالذكر أن جزءا من النص اليونانى الخاص بحولية الماجســـتير سيميون والذى يغطى الفترة من سنة ٨١٣ وحتى سنة ٩٤٨ قد اقتبسه حرفيا كل من :

Leo Grammaticus, 207-331; Georg. Mon. Cont., 761-924.

بالنسبة لقيام الامبراطور ميخائيل الثالث بالانعام على باسيل بمنصب الامبراطور المشارك ، انظر :

Vita Basilii Imperatoris, 240.

وانظر أيضا :

Jenkins, Imperial Centuries, 166; Ostrogorsky, State, 206.

جديدة عرفت باسم الاسرة المقدونية[١٢] .

ان أغلب المؤرخين الذين وصفوا هذه الأحداث ينتمون للقـــــرن

---

(١٢) بالنسبة لجريمة قتل الامبراطور ميخائيل الثالث ، حرص قسطنطين السابع أيضا على تبرئة جده باسيل منها ، لذا نسب قتل ميخائيل الى الحرس الامبراطورى فى القصر بناء على أوامر صدرت لهم من كبار موظفى الحكومة والأعضاء البارزين فى مجلس السناتو ، انظر :

Vita Basilii Imperatoris, 254.

أما المؤرخ المجهول صاحب الفصول الأربعة الأولى من صلة ثيوفانس فقد ذكر رواية مشابهة تخدم نفس الغرض الا وهو تبرئة باسيل المقدونى من دم ميخائيل الثالث . فقد ذكر هذا المؤرخ المجهود ان ميخائيل الثالث حاول فى البداية اغتيال باسيل أثناء رحلة صيد مشتركة ولكنه فشل . وشاع هذا الخبر بين الناس ، وأدى تلق الكثيرين على حياة باسيل المقدونى ولهذا قام الحرس الامبراطورى بقتل ميخائيل بناء على رغبة السناتو أو بايعاز من اتباع باسيل ولكن دون علمه ، انظر :

Theoph. Cont., 210.

أما المؤرخ الثالث الذى حاول طمس الحقيقة أيضا فهو جنســـــيوس Genesius الذى كلفه قسطنطين السابع أيضا بمهمة كتابة تاريخ لعصر جده باسيل وتبرئته من جريمة ميخائيل الثالث . ولقد روى جنسيوس رواية يغلب عليها السذاجة مؤداها أن العلاقات بين ميخائيل وباسيل ساءت بسبب وشاية من حولهما . وذكر أن ميخائيل حاول قتل باسيل أثناء رحلة صـــيد ولكنه فشل ، وحين حث بعض الاتباع باسيل على قتل الامبراطور رفـــض باسيل اقتراف مثل هذه الجريمة . ولهذا قام اتباع باسيل — دون علمـــه المسبق — بقتل الامبراطور لانقاذ باسيل من احتمال وقوعه ضحية لتدبير جديد من جانب ميخائيل الثالث يقضى عليه وعلى اتباعه ، انظر :

Genesius, 113.

أما الحقيقة فهى تلك التى ذكرها أيضا الماجستير سيمون ، وهى تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن باسيل المقدونى هو الذى خطط وشارك فى تنفيذ جريمة اغتيال الامبراطور ميخائيل الثالث فى غرفة نومه وهو ثمل ، انظر :

Georg. Mon. Cont. 836-837;

Leo Grammaticus, 250-252;

Pseudo - Symeon, 684 - 685;

Konaras, III, 417.

العاشر الميلادى[١٣] • ويلاحظ أن وصفهم للأحداث افتقر فى بعض الأحيان الى الصدق لاختلاط هذا الوصف بالدعاية للاسرة المقدونية • لقد حرص هؤلاء المؤرخين على صبغ تاريخ الأسرة العمورية بلون قاتم [١٤]• وربما كان هذا مفهوما بالنسبة للامبراطورين الأولين من أباطرة هذه الاسرة ، فقد ادانتهما المصادر لسياستهما اللاايقونية • أما الامبراطور ميخائيل الثالث ، الذى عادت باسمه عبادة الصور والايقونات فى مارس سنة ٨٤٣ ، فكان لابد من الحط من شأنه لتبرير الجحود الكبير ونكران الجميل الخاص بقاتله باسيل الأول مؤسس الاسرة المقدونية[١٥] • وكان الوجه الآخر لهذه الدعاية للاسرة المقدونية هو طلاء مسار حياة باسيل المقدونى بلون زاه تميز بالخصائص الاسطورية حتى اختلط الخيال بالحقيقة وأصبح من الصعب الفصل بينهما[١٦] • ويجب ألا ننسى أن الاسطورة لا تترعرع والخيال لا يكتمل الا فى اطار الفكر الاجتماعى السائد • فهو اطار صادق ومعاصر لاعتقاد الناس ، وتحرص الأساطير عادة على الاستفادة منه لتجعل من نفسها حقائق تاريخية •

---

(١٣) من هؤلاء المؤرخين انظر :

Ostrogorsky, State, 187-192; Jenkins, Scriptores Post Theophanem, 11-30.

(14) Jenkins, Scriptores Post Thesphanem, 18 and 22-23; Constantine, 542—583.

(15) Toynbee, Constantine, 5, 299—300, and 344;
Jenkins, Michael III, 71;
Moravcsik, Legenden, 61.

على اية حال حرص عدد من المؤرخين على اعادة تقييم عصر الامبراطور ميخائيل الثالث وابراز ايجابياته ، انظر مثلا :

Gregoire, Michel III et Basile le Macédonien, 327—346; Gregoire, Etudes, 515—550; Vasiliev, Russian Attack, 152—153.

(١٦) انظـــر :

Adontz, Basile I, 223—260 and 475—500; Moravcsik, Legenden, 59—126.

ويأتي على رأس هؤلاء المؤرخين الامبراطور قسطنطين السابع Constantine VII Porphyrogenitus (٩١٣ — ٩٥٧ م) ، حفيد باسيل الأول .

لقد كان الغرض الرئيسى وراء نشاط قسطنطين الأدبى ، رغبته فى تقديم عرض جديد لسيرة جده باسيل المقدونى مؤسس الاسرة المقدونية تختفي فيه كل خطاياه وأخطاءه وأصله الوضيع[١٧] . وبعد أن كلف بهذه المهمة المؤرخ جنسيوس Genesius [١٨] ، ومن بعده المؤرخ المجهول الذى كتب الفصول الأربعة الأولى من المجلد الكبير المعروف بصلة ثيوفانس Theophanes Continuatus [١٩] ، قرر الامبراطور أن يتولى هذه المهمة

---

(17) Toynbee, Constantine, 582.

(١٨) وضع جوزيف جنسيوس مؤلفه بناء على أمر الامبراطور قسطنطين السابع كما يتضح فى مقدمة الكتاب . وتتناول الفصول الثلاثة الأولى من هذا الكتاب الفترة الثانية من النزاع حول عبادة الصور والايقونات والتى تبدأ بعهد الامبراطور ليو الخامس الارمينى Leo V (٨١٣ — ٨٢٠) .

أما الفصل الرابع والفصل الخامس من هذا الكتاب فيتناولان عهدى ميخائيل الثالث (٨٤٢ — ٨٦٧) وباسيل الأول (٨٦٧—٨٨٦) على التوالى . ولقد حرص هذا المصدر على تمجيد عهد باسيل المقدونى والحط من شأن ميخائيل الثالث . والمرجح أن جنسيوس وضع هذا المؤلف فى الفترة من ٩٤٤—٩٤٨ . انظر :

Genesius, 103—113.

وانظر أيضا :

Toynbee, Constantine, 5, 183, and 582—585; Bury, Treatise, 574; Ostrogorsky, State, 130—187.

(١٩) لا تزال شخصية هذا المؤلف مجهولة . ولقد تناول هذا المؤرخ المجهول فى الفصول الأربعة الأولى من المجلد المعروف (بصلة ثيوفانس) Theophanes Continuatus الفترة من ٨١٣ — ٨٦٧ . فتناول فى الفصل الأول عهد الامبراطور ليو الخامس الارمينى ، وفى الفصل الثانى عهد الامبراطور ميخائيل الثانى العمورى ، وفى الفصل الثالث عهد الامبراطور ثيوفيل ، وفى الفصل الرابع عهد الامبراطور ميخائيل الثالث . والثابت أن الامبراطور قسطنطين السابع هو الذي أمر بكتابة هذه الفصول الأربعة =

بنفسه • فقام باعادة ما كتبه جنسيوس مرة أخرى ووضع مؤلفا عن سيرة حياة باسيل الأول • ويحتل هذا المؤلف الفصل الخامس فى مجلد صـــلة ثيوفانس[٢٠] • لقد كان هدف قسطنطين السابع وتعليماته الى من كلفهم بكتابة التاريخ ، العمل على اخفاء الحقيقة ، الأمر الذى يتناقض مع الصدق والامانة التى يجب أن يتحلى بهما المؤرخ • لقد أراد ببساطة اخفاء حقيقة الأصل الفقير لجده ، واخفاء جهله بالقراءة والكتابة ، وأهم من هذا وذاك التستر على حقيقة قيامه بقتل القيصر برداس بيده سنة ٨٦٥ ، وتخطيطه وتنفيذه لمؤامرة اغتيال الامبراطور ميخائيل الثالث سنة ٨٦٧[٢١] •

على أية حال ، ان الطريق الذى سلكه باسيل المقدونى حتى وصل الى السلطة يمكن أن يخدم موضوع هذه الدراسة لأنه يلقى الضوء على أهمية التبعية الشخصية فى الارتقاء الاجتماعى •

=

والمرجح انه أشرف على اخراجها • وحرص المؤرخ المجهول هنا ، مثله فى ذلك مثل جنسيوس ، على تنفيذ أوامر قسطنطين السابع الخاصة بالحط من شأن مياخئيل الثالث وتمجيد عهد باسيل الأول فضلا عن تبرئته من جريمتى قتل القيصر برداس سنة ٨٦٦ ، والامبراطور ميخائيل الثالث نفسه سنة ٨٦٧ ، انظر :

Theoph. Cont., 1—211.

وانظر أيضا :

Jenkins, Scriptores Post Theophanem, 13, 19; Toynbee, Constantine, 5, 582 ff.

(٢٠) والمرجح ان قسطنطين كتب بنفسه سيرة جده باسيل حوالى سنة ٩٥٠ ، انظـــر :

Vita Basilii Imperatoais, 211—353.

وانظر أيضا :

Jenkins, Scriptores Post Theophanem, 11—30;

Btry, Treatise, 571—575;

Toynbee, Constantine, 575—580.

(21) Tonbee, Constantine, 582.

ولد باسيل المقدونى فى بلدة خاريوبولس Charioupolis التى تقع بالقرب من مدينة أدرنة Adrianupolis فى تراقيا Thrace ، وعرف بالمقدونى لأن بلدته كانت تتبع اداريا ثيم مقدونيا[٢٢] • ولا شك انه كان ابنا لاسرة قروية معدمة ، فأبوه كان بالتأكيد فلاحا أرمينيا أما أمه غربما كانت قروية من أصل سلافى ، ولهذا كانت لغة باسيل الأصلية هى الارمينية[٢٣] • وكان باسيل أميا لم تهبه الحياة أكثر من قوة بدنية ومظهرا حسنا وذكاءا • وبهذه المواهب هجر باسيل بلدته عقب وفاة والده حوالى سنة ٨٥٦ متجها الى القسطنطينية للبحث عن الحظ[٢٤] • وكانت القسطنطينية كعاصمةللامبراطورية تمتلىء بالفرص والاحتمالات• ويلاحظ أن كاتب سيرة باسيل المقدونى افترض أن باسيل كانت لديه خطة واضحة منذ بداية وصوله الى العاصمة • فباسيل كان يريد الدخول فى تبعية سيد ذو شأن ومركز ونفوذ ليعمل فى خدمته بشكل أو باخر • وكان باسيل

---

(٢٢) لا ندرى على وجه التجديد متى ولد باسيل المقدونى • فطبقا لرواية حفيده قسطنطين السابع يقع تاريخ مولده خلال عهد الامبراطور ميخائل الأول رانجاب Michael I Rangabe (٨١١—٨١٣) ، لأنه كان طفلا رضيعا خلال هجوم خان البلغار كروم على أرنة سنة ٨١٣ م •. انظر :

Vita Basilii Imperatoris, 216.

وانظر أيضـــا :

Adontz, Basile I, 478—482.

ولكن المؤرخ الانجليزى روملى جينكز Jenkins يذكر أن باسيل ولد سنة ٨٣٦ دون أن يحدد مصدره ، انظر :

Jenkins, Imperial Centuries, 165.

(23) Jenkins, Imperial Centuries, 165.

وانظر أيضـــا :

Adontz ,Basile I, 482—485.

(24) Vita Basilii Imperatoris, 225.

وانظر أيضـــا :

Jenkins, Imperial Centuries, 165;
Adontz, Basile I, 485.

يستهدف أولا تحقيق الامان المادى ثم الارتقاء الاجتماعى وأن يصبح هو نفسه سـيدا •

ولعله من الأفضل أن نتوقف قليلا أمام خطة باسيل هذه لنلقى نظرة على الاصطلاحات التى استخدمها كاتب سيرته • لقد أراد باسيل الالتحاق بخدمة أحد السادة Kyrios ، وهو سيد تنطبق عليه شروط معينـة اذ يجب أن يكون معروفا Emphanes وذو مكانة مرموقة Periphanes وأن يكون أحد الأقوياء Dynatos (٢٥) • ولا شك أن تعبير القوى ذو النفوذ يعطى للتعبيرات السابقة تحديدا اجتماعيا • فالرجل القوى Dynatos — كما يتضح من قوانين القرن العاشر الميلادى — هو رجل ذو مركز وأهمية ونفوذ فى المجتمع ، وهى أهمية ليـس لها أية علاقة بالثروة • فالعنصر المادى يأتى بعد ذلك ويؤدى فى النهاية الى أن يصبح الرجل القوى ذو النفوذ فى المجتمع «Dynatos» رجلا ثريا Plousios أيضا • ويمضى كاتب السيرة قائلا أن باسيل أراد أن يصـبح تابعا Doylos فى خدمة هذا السيد(٢٦) •

وهنا يجب أن نؤكد أنه من الخطأ أن نفهم من هذا الرغبة فى التخلى عن الحرية الشخصية ، فالطريق الى الحظ والغد السعيد الذى يبحث عنه باسيل كان فى بيزنطة المسيحية لا يمضى عبر العبودية • فكلمة Doyleia تعنى علاقة الخدمة بين شخص حر بالكامل وبين سيد ، وأصبحت هـذه الكلمة فى وقت لاحق تصف خدمة أكبر موظفى الامبراطور ، حتى لو كان هذا الموظف تمت بصلة قرابة للامبراطور نفسه ، فهو خادم سـموه أو

Vita Basilii Imperatoris, 223.

(26) Vita Basilii Imperatoris, 223.

تابعه[٢٧] .

وهكذا أراد باسيل بالالتحاق بتبعية أحد السادة ذوى النفوذ فى العاصمة أن يحقق الارتقاء الاجتماعى وأن يصبح هو نفسه بعد ذلك سيدا له اتباع من أقاربه القرويين فى بلدته[٢٨] . فهل كانت هذه أحلام خيالية لشاب ريفى من الأقاليم ؟ بالطبع لا لقد كان كاتب سيرة باسيل على علم كامل بالاحتمالات الموجودة فى مجتمع عصره ولهذا تناول المصير المقبل لباسيل من البداية وادعى انه خطته التى هاجر من أجلها الى العاصمة . ولذلك ليس هناك ما يدعو الى الدهشة أن تتحقق هذه الاحلام .

---

(٢٧) اشارت المصادر البيزنطية مثلا الى القائد بطرس فوقاس الذى فتح مدينة انطاكية فى ٢٨ من أكتوبر سنة ٩٦٩ ، بانه تابع أو غـلام الامبراطور نقفور فوقاس (٩٦٣—٩٦٩) ، Ton tou Phoka doylon ، انظر :

Scylitzes, 315.

وكان بطرس فوقاس هذا ابنا للقربلاط ليو فوقاس شقيق الامبراطور نقفور ، انظر :

Schlumberger, Un Empereur, 709—710.

وعلى هذا فكلمة Doylos فى هذا النوع من علاقة الخـدمة أو التبعية لا تعنى العبد بل الانسان الحر Anthropos أو Homo فى مجتمع أوربا فى العصور الوسطى . أما الكلمة الشائعة بالنسبة للتابع الحر الذى يعمل فى الخدمة المنزلية فهى كلمة تابع الاسرة Oikeios . وهى تعنى الانسان الحر العامل فى خدمة وتبعية الاسرة ولكنه مرتبط بالاسرة بشـكل خاص Familiaris أو Domesticus . وكانت كلمة Oikeios تستعمل أيضا لوصف المقربين العاملين فى خدمة الامبراطور . للمزيد عن استعمالات هذه الكلمة ، انظر :

Theoph. Cont., 189.

وانظر أيضـا :

Dolger, Byzanz, 54 note 48.

قارن أيضا الاستعمالات الأخرى لهذه الكلمة فى المصادر البيزنطية ، فى :

Psaltes, Chronikes, 197.

(28) Vita Basilii Imperatoris, 221.

على أية حال ، وصل الشاب سعيد الحظ الى القسطنطينية ووجد طريقه الى احدى الكنائس الصغيرة الواقعة فى ضواحى المدينة • وهناك وجد لدى راعى الكنيسة Prosmonaios حسن الاستقبال والدعوة للاقامة عنده ، لأن راعى الكنيسة — كما تروى الاسطورة — رأى رؤيا تنبىء باعتلاء هذا الباسيل العرش الامبراطور[٢٩] • وبعد وقت قصير قرر الاثنان توطيد علاقاتهما بعقد رابطة أخوة الدم التى لا تنفصم ، أى انهما قاما بعقد طقس اخوة الدم adelphopoiia المحرم من قبل الكنيسة والدولة ، وهو طقس تمتزج فيه دماء الطرفين فى تأكيد لرابطة اعتقد الناس فى الماضى انها أقوى من كل روابط القرابة الطبيعية الأخرى[٣٠] •

وبعد عقد رابطة الاخوة هذه بدأ باسيل يحقق أحلامه •• فقد كان لراعى الكنيسة أخا طبيبا يعمل فى خدمة وتبعية أحد السادة الأقوياء Dynatos[٣١] • وكان هذا الرجل ذو النفوذ يسمى ثيوفيل Theaphilus ولكنه كان يدعى ثيوفيل الصغير Theophilitzes لقصر قامته ، وكان يشغل منصب قائد الحامية المكلفة بالدفاع من أسوار القسطنطينية Komes Ton Teicheon[٣٢] ، كما كان يمت بصلة قرابة للاسرة

---

(29) Vita Basilii Imperatoris, 223;
Genesius, 108—109; Scylitzes, 120—121.

وانظر ايضا :

Maravcsik, Legendn, 91—95.

(٣٠) للمزيد عن هذه الرابطة القديمة ، انظر :

Michaelides-Nuaros, Adelphopoiia, 251—313.

وانظر ايضا :

Dolger, Paraspora, 197 and note 12.

(31) Pseudo - Symeon, 656.

(32) Pseudo - Symeon, 655.

للمزيد عن ها المنصب واللقب ، انظر :
Guilland, Comte des Murs, 17—23.

العمورية[٣٣] • وكان ثيوفيليتزس Theophilitzes هذا حريصا على تأكيد مكانته ومركزه فى المجتمع ، ولهذا أحاط نفسه بجماعة من الانتباع من الشباب ذوى المظهر الحسن والقوة البدنية[٣٤] • وقام بالباسهم الفراء والحرير كما سلحهم واستخدمهم كحرس خاص به[٣٥] •

وطبقا للتقاليد السائدة كانت المجالات التى انشغل فيها هؤلاء الشباب هى المبارزة وركوب الخيل والصيد • وكان لهذه الجماعة من الاتباع قائد اتخذ لنفسه لقب Protostrator مقلدا قرينه فى القصر الامبراطورى[٣٦] • وبفضل مساعى راعى الكنيسة لدى أخيه الطبيب أصبح لباسيل مكانا فى جماعة اتباع ثيوفيليتزس Theophilitzes ، وبعد فترة قصيرة أصبح باسيل بفضل قوته البدنية ومهارته قائدا Protostrator لهذه الجماعة[٣٧] •

ان مسار هذه الأحداث يؤكد حقيقة أن المجتمــع البيزنطى كان مجتمعا مفتوحا لا مكان فيه لطبقة اجتماعية خاصة متميزة ومنغلقة على

---

(٣٣) كان ثيوفيل الصغير هذا يعرف أيضا باسم Theophilidion
كما كان يمت بصلة قرابة للامبراطورة ثيودورا واخيها القيصر برداس ، انظر :
Vita Basilii Imperatoris, 224, 229.

(34) Vita Basilii Imperatoris, 225; Genesius, 109.

(35) Vita Basilii Imperatoris, 226.

(٣٦) Protostrator هو قائد الاتباع ، وكان هذا المنصب أحــد مناصب القصر • وفى البداية كانت مهمة Protostrator مساعدة الامبراطور على ركوب فرسه ، ثم الركوب بجوار الامبراطور • ولكنه أصبح يؤدى أعمالا هامة أخرى فى القصر ، فأحيانا كان هو الذى يقوم بتقدير الزوار الأجانب الى حضرة الامبراطور بدلا من الموظف المختص بهذه المهمــة والذى يحمل لقب Protospatharios • وفى العصر البيزنطى المتأخر ارتفع شأن هذا المنصب حتى أصبح واحدا من أهم المناصب التى يشغلها كبار موظفى القصر • للمزيد عن هذا المنصب ، انظر :
Bury, Admin. System, 117—118;
Oikonomidès, Préséance, 337—338;
Guilland, Recherches, I, 478—497.

(37) Vita Basilii Imperatoris, 225.

نفسها تفتخر بنسبها وعراقة أصلها • كذلك يبين مسار هذه الأحــداث ان علاقة التبعية بين السيد واتباعه Oikeioi تختلف تماما عن علاقة العمل العادية التى تربط صاحب العمل بالعامل المأجور •

ومن الجدير بالذكر أن صورة باسيل فى هذه الرواية تختلف تماما عن صورة الصبى الذى يعمل فى حظيرة خيل أحد نبلاء العاصــمة • وسيتضح هذا أكثر اذا واصلنا تتبع مسار حياته •

وطبقا لرواية كاتب السيرة سافر باسيل مع سيده ثيوفيليتزس فى مهمة رسمية الى شبه جزيرة البلوبونيز • وفى مدينة باتراس Patras يلتقى باسيل بالأرملة الثرية دانيليس Danielis (نسبة الى زوجها دانل Daniel) ، ويلمس منها الاعجاب بعد أن سمعت بنبوئه الطالع الحسن ، الذى ينتظر هذا الشاب ، من أحد الرهبان • وقامت الأرملة بمنح باسيل مبلغا كبيرا من الذهب فضلا عن هدايا ثمينة أخرى ، كما قامت بعقد رابطة اخوة الدم بين ابنها يوحنا وباسيل المقدونى[٣٨] •

واذا تناولنا هذه الرواية بالتحليل سنجد أن المال الذى قدمته الأرملة لباسيل لم يكن بسبب اعجابها به أو ميلها اليه ، بل لأن هــذه الأرملة الثرية رأت فى هذا التابع لأحد أقوياء العاصمة شيئا آخر • لقد وجدت انه يصلح أن يكون ممثلا لها وراعيا لمصالحها فى العاصمة ولهذا حرصت على كسب وده[٣٩] • فباسيل فى نظر الأرملة الثرية يصلح أن يكون من

---

(38) Vita Basilii Imperatoris, 226—228;

Scylitzes, 121—123.

وانظر أيضا :

Moravcsik, Legenden, 96—97; Adontz, Basile I, 487.

(٣٩) قارن :

Vita Basilii Imperatoris, 228.

اتباعها ، وكانت خدمته لمصالحها وتبعيته لها تتطلب المقابل ولهذا منحته تلك الأموال • وبعد انتهاء مهمة سيده الرسمية فى البلوبونيز عاد باسيل الى القسطنطينية رجلا ثريا • والطريف أن باسيل عرج فى طريق عودته على بلدته واستثمر الأموال التى حصل عليها ، طبقا لوجهة النظر الاقتصادية السائدة فى عصره ، فى شراء ضيعة زراعية كبيرة فى بلدته بمقدونيا[٤٠] • وبهذا أصبح باسيل رجلا ثريا وانتمى بالتالى لفئة كبار ملاك الأرض الزراعية التى اصدر ضدها خلفائه على العرش بعد ذلك التشريعات الاجتماعية المعروفة فى القرن العاشر الميلادى[٤١] •

ويلاحظ أن كاتب سيرة باسيل أراد أن يجعل روايته متفقة مع روح العصر ، لهذا جعل مصدر ثروة باسيل مصدرا واحدا لا غبار عليه • فالرواية تبرر كرم الأرملة البلوبونيزية بنبوئة أحد الرهبان فى باتراس والتى تقول بأن هذا الباسيل سيصبح فى القريب العاجل Plousios امبراطورا[٤٢] • أما الحقيقة فربما كانت شيئا آخر ، فربما عرض باسيل على أثرياء آخرين أيضا بالعمل فى خدمة مصالحهم فى العاصمة وتسلم منهم مبالغ من المال لهذا الغرض • ولكن ذكر مثل هذه الاخبار يعطى انطباع الرشوة والفساد ، فالربط بين المعاملات المالية والسلطة كان لا يتمشى مع روح ذلك العصر • وكان حفيد باسيل حريصا فى كتابة سيرة جده على تصوير ارتقائه ثم اعتلائه العرش فى الصورة المثالية التى تتفق والعقلية السائدة فى مجتمع عصره •

---

(40) Vita Basilii Imperatoris, 228; Scylitzes, 123.
وانظر ايضا :
Moravcsik, Legenden, 97.

(٤١) وسام : « قوانين الملكية الزراعية فى الامبراطورية البيزنطية فى القرن العاشر الميلادى : دراسة تحليلية » ، مقال منشور فى : ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط ، العدد الثانى ١٩٨٣ ، ص ٢٩٩—٣٤٢ .

(42) Vita Basilii Imperatoris, 228;
Moravcsik, Legenden, 96—97.

ان الانطباع الذى نخرج به من قراءة المصادر البيزنطية عن الحياة فى القسطنطينية فى القرن التاسع الميلادى يتلخص فى أن الفرصة كانت متاحة أمام الطبقات الدنيا للارتقاء وصعود الهرم الاجتماعى بسرعة اذا توفر للانسان الطموح الذكاء والقوة والمرونة فضلاً عن بعض المال الذى كان له تأثير كبير على الناس فى العصور الوسطى • وكان يكفى أن يجد الانسان بيتا يلتحق به وسيدا ذو مركز ونفوذ راضى بمكانته الاجتماعية وليست له أية تطلعات ليعمل فى تبعيته ويستظل بظله • وكانت العلاقة بين السيد وتابعه تقوم على العمل والعطاء المتبادل ولكن ليس بمفهـوم علاقة العمل الحديثة بل بمفهوم العلاقة القائمة على الثقة واحترام المكانة الاجتماعية • لقد كانت علاقة التبعية الشخصية مفتوحة تماما مثل كل المجتمع البيزنطى ، فهى مفتوحة الى أعلى : الى النفوذ والسلطة والى المال والثروة ، وتسمح للتابع أن يصبح بالتالى أحد الأقوياء Dynatos أو أحد الأغنياء • وكما ذكرنا كان هذا النمط من التبعية الشخصية بالنسبة لثيوفيليتزس Theophilitzes شيئا أراد به تأكيد أهميته ومكانته الاجتماعية •

وهنا تبادر الى الذهن السؤال التالى : هل كان هذا النموذج الذى قدمه ثيوفيليتزس للسيد الذى يحيط نفسه بجماعة من الاتباع والمريدين حالة فردة ؟ لأنه اذا كان كذلك فلا جوز لنا أن نعمم هواية خاصة به •

يجيب المؤرخ جنسيوس Genesius على هذا السؤال حين بذكر وجود جماعة أخرى من الاتباع معاصرة لجماعة ثيوفيليتزس وكيف أن سيدا الجماعتين تنافسا فى احاطة انفسهما بالرجال ذوى المظهر الحسن والقوة البدنية والمهارة • وكان سيد هذه الجماعة الثانية هو الامبراطور ميخائيل الثالث نفسه[٤٣] • فجماعة الاتباع الثانية هى جماعة الخاصة التى أحاط ميخائيل الثالث نفسه بها والتى كانت تصرفاتها القبيحة وسلوكها السيء هو الذى برر حكم المصادر البيزنطية بالادانة على الامبراطور •

(43) Genesius, 109.

فالمصادر تتحدث عن جماعة من الصعاليك الذين جاءوا من أصول غامضة وافتقروا الى الاخلاق الطيبة والسلوك الحميد[٤٤] • ولنترك حكم المصادر عليهم ونقرر أن هذه الحاشية التى أحاط الامبراطور نفسه بها لم تضم العاملين فى القصر من الموظفين وحملة الألقاب حتى اذا اضطر بعض هؤلاء احيانا للاشتراك فى السهرات الماجنة لهذا الامبرطور الخليع[٤٥] •

والمعروف أن صيت باسيل المقدونى ذاع ذات يوم فجأة حين نجح فى القضاء على مصارع بلغارى عملاق فى احدى الولائم التى حضرها القيصر برداس وكبار رجال الدولة وسفراء بلغاريا[٤٦] • وتناقل الناس

---

(44) Theoph. Cont., 199—200;
Vita Basilii Imperatoris, 242—243.
Pseudo-Syfeon, 660—661.

(٤٥) يتضح هذا فى :

Theoph. Cont., 199.

بالنسبة لاشارات المصادر لميخائيل الثالث واسرافه فى تعاطى الخمر وتصرفاته الماجنة ، انظر :

Vita Basilii Imperatoris, 251.

وقارن أيضا :

Pseudo - Symeon, 662—663.

وانظر ايضا :

Jenkins, IQmperial Centuries, 165;
Jenkins, Michael III, 73;
Toynbee, Constanrine, 3, 19, 590 and 601.

(٤٦) كان انتيجونوس Antigonus ابن القيصر برداس (وكان يشغل منصب القائد العسكرى للجيوش البيزنطية Domestikos ton Scholon هو صاحب هذه الوليمة التى عقدت فى احدى الصـــالات الملحقة بالقصر الامبراطورى • وكان ثيوفيليتزس Theophilitzes ضمن الحاضرين مع حاشية اتباعه وعلى رأسهم باسيل المقدونى ، انظر :
Vita Basilii Imperatoris, 229—230. Scylitzes, 123—124.

وجدير بالذكر أن المؤرخ جنسيوس ذكر رواية أخرى مؤداها أن باسيل هزم أقوى المصارعين العاملين فى خدمة القيصر برداس والامبراطور ميخائيل ،
=

فى العاصمة البيزنطية هذا الخبر بالاعجاب الشديد • وبعد ذلك قـام الامبراطور ميخائيـل باغراء باسـيل على تـرك تبعيتـه لثيوفيلتزس Theophilitzes والانضمام الى حاشية اتباعه الخاصة[٤٧] •

واذا توقفنا قليلا أمام المصطلحات التى استخدمتها المصادر البيزنطية فى التعبير عن اتباع ميخائيل الثالث ، سنلاحظ انها استخدمت فى البداية نفس المصطلحات التى استعملتها فى وصف اتباع ثيوفيليتزس من قبل ، فهم اتباع الامبراطور Oikeioi [٤٨] ، والرجال المألوفين من اتباعه Oikeioi anthropoi; Oikeiotatoi [٤٩] • كذلك استخدمت المصادر اصطلاحين جديدين فى وصف جماعة اتباع الامبراطور : جماعة الرفاق Hetaireia ، عصبة الاخوان Phatria • بالنسبة للكلمة الأولى Hetaireia جد انها ستصبح بعد ذلك اصطلاحا رسميا يطلق على فرقة الحرس الامبراطورى وذكرتها المصادر فى أغلب الاحيان بالكلمة فرقة الرحس الامبراطورى التى كان بعض أفرادها يجندون من خارج الامبراطورية • وشكلت عناصر الروس Varangian بعد ذلك الفرقة الرئيسية فى الحرس الامبراطورى وذكرتها المصادر فى أغلب الأحيان

انظـر :

Genesius, 110—111.

أما عن طرح المصارع البلغارى العملاق أرضا ، فيذكرها جنسـيوس فى موضع لاحق بعد اعتلاء باسيل المقدونى للعرش ، انظر :

Genesius, 127.

وانظر أيضا :

Toynbee, Constantine, 373—374;

Moravcsik, Legenden, 97—98.

(47) Vita Basilii Imperatoris, 231.

(48) Genesius, 112.

(49) Vita Basilii Imperatoris, 239.

بالكلمة السافية Druzina (٥٠) والمعروف أن تشكيل هذه الفرقة من الحرس الامبراطورى بدأ منذ منتصف القرن التاسع الميلادى تقريبا • واذا كنا لا نستطيع أن ننفى احتمال وجود علاقة وراثية بين هذه الفرقة من الحرس الامبراطورى وبين جماعة اتباع الامبراطور ا لأن هذا لا يعنى انهما شيئا واحدا • وفى رأيى انه بالنسبة لموضوع هذه الدراسة يجب أن نترجم كلمة Hetaireia بالرفاق أو جماعة الاتباع الخاصة • وبالطبع تبين هذه الكلمة طبيعة العلاقة التى تربط السيد باتباعه أكثر من كلمة Oikeioi البسـيطة •

بالنسبة للكلمة الثانية Phatria نجد انها لا تعبر عن أية اخوة أو صداقة عادية ولكن عن تلك الاخوة أو الصداقة ذات الأهداف التآمرية فقط ، فهذه الأهداف مرتبطة بمعنى الكلمة (٥١) • وعلى هذا فحين تذكر المصادر رفاق الامبراطور وخاصته وتستعمل فى التعبير عن ذلك كلمة Phatria يرتبط على الفور هذا المعنى الخاص • فالمصطلح الطبيعى لوصف رفاق الامبراطور وحاشية خاصته هو كلمة Hetaireia •

لقد ذكرت المصادر البيزنطية أحيانا أسماء الأشخاص البارزين فى حاشية اتباع الامبراطور ميخائيل ، ولكنها تذكرهم فى كل مرة دون أى

---

(٥٠) وكان قائد هذه الفرقة من الحرس الامبراطورى يسـمى Hetaireiarches ، وكان عليه حماية الامبراطور والدفاع عن القصر • انظر :
Bury, Admin. System, 106—108.
Ahrweiler, Recherches, 27.

وانظر أيضا :
Moravcsik, Legenden, 115.

بالنسبة لتجنيد الروس فى الحرس الامبراطورى فى عهد ميخـائيل الثالث ، انظر :
Blondal, Varangians, 33—36.

(٥١) عن اشارات المصادر لهذه الكلمة انظر مثلا :
Theophanes, 407.

ذكر لمناصب يشغلونها أو ألقاب يحملونا ، ولهذا فهم مجهولون[٥٢] .

وجـدير بالذكـر انه على خـلاف جمـاعة اتبـاع ثيوفيليتزس Theophilitzes ، لم تعمل هذه الجماعة سيئة السمعة من اتباع ورفاق الامبراطور ميخائيل فى خدمة سيدها من أجل المظهر الاجمتاعى ، فهذا الدور يؤديه العاملون فى القصر الامبراطورى وفيه الكفاية . لقد عملت جماعة اتباع ورفاق الامبراطور ميخائيل فى خدمة أهدافه السياسية . وهنا نجد أنفسنا أمام دور جديد للاتباع لم نقابله فى جماعة أتبـاع ثيوفيليتزس . وفى المرات القليلة التى كان فيها الامبراطور ميخائيـل نشـطا فى القصر نجـد أنه يسـتخدم جمـاعة أتبـاعه ورفاقـه فى أداء أعمال لا تناسب موظفى الجهاز الحكومى الرسمى . فعلى يـد هؤلاء الاتباع قضى ميخائيل على خاله القيصر برداس سنة ٨٦٥ م ، وعن طريقهم حاول أيضا أن يتخلص من باسيل المقدونى فى سنة ٨٦٧ ولكن الوقت كان قد تأخر . وهكذا كانت جماعة اتباع ورفاق الامبراطور اداة سياسية من أدواته فى الداخل ولكنها بعيدة عن الجهاز الحكومى .

وكانت العلاقة بين هؤلاء الاتباع وسيدهم الامبراطور ميخائيل الثالث وطيدة . فقد ابتدأ ميخائيل تقليدا أصبح بمقتضاه مسئولا عن أولاد اتباعه وحاشيته الخاصة منذ تعميدهم . وكان الامبراطور يقـدم مبالغ كبيرة وهدايا ثمينة فى حفل التعميد الذى يصبح بمقتضاه أبا روحيا للطفل المعمد[٥٣] . وكانت الابوة الروحية فى العرف البيزنطى لا تؤدى الى خلق رابطة قرابة روحية وتتضمن تقديم هبات مالية كبيرة وهدايا ثمينة . واذا كان علينا أن نصدق رواية الامبراطور قسطنطين السـابع

---

(٥٢) انظر :

Theoph. Cont., 199;
Vita Basilii Imperatoris, 243;
Pseudo - Symeon, 660, 661.

(53) Theoph. Cont., 172.

الخاصة بقيام جده باسيل الأول — بعد اعتلائه العرش — باسترداد نصف الهبات والعطايا المالية التى قدمها سلفه لاتباعه وخاصته ، فلابد أن يكون ميخائيل الثالث قد انفق ما لا يقل عن ستين ألف رطل من الذهب ، ولابد أن يكون انفاق هذا المبلغ الضخم مدون فى السجلات الرسمية(٥٤) •

وكما سبق أن ذكرنا انتقل باسيل المقدونى من جماعة اتباع ثيوفيليتزس Theophilitzes الى حاشية اتباع الأمبراطور • ومرة أخرى أصبح باسيل مقدما لهذه الجماعة بفضل قوته البدنية ومهارته واعجاب الامبراطور به(٥٥) •

ويبدو أن باسيل بعد أن وطد مركزه فى حاشية اتباع الامبراطور أخذ يستعرض الاحتمالات المتاحة أمامه ، ولم يتردد فى اتخاذ جماعة خاصة لنفسه من داخل دائرة اتباع الامبراطور ميخائيل • وقام باسيل بتوطيد أواصر رابطة الاخوة Adelphopoiie معهم عن طريق قسم الولاء

---

(٥٤) ذكر قسطنطين السابع فى مؤلفه عن سيرة جده ، ان الامبراطور باسيل الأول اجبر اتباع واقارب الامبراطور ميخائيل الثالث على رد نصف الهبات المالية التى منحها لهم الامبراطور من خزانة الدولة دون وجه حق . ولقد بلغت هذه الأموال التى استردتها الخزانة الامبراطورية نتيجة لهذا الاجراء اكثر من ٢ مليون نوميسما ، انظر :

Vita Basilii Imperatoris, 255—256;
Toynbee, Constantine, 592.

(٥٥) روى قسطنطين السابع ، انه أثناء رحلة صيد قام بها الامبراطور ميخائيل الثالث ، جمع جواده وأفلت منه زمام السيطرة عليه ، ولم ينقذ الامبراطور سوى باسيل المقدونى الذى قفز وأمسك بالفرس منقذا حياة الامبراطور . ولقد أثارت شجاعة باسيل وقوته اعجاب الامبراطور الذى قربه اليه ، انظ :

Vita Basilii Imperatoris, 230—231;
Moravcsik, Legenden, 99.

انظر أيضا الأسباب الأخرى التى يقدمها أحد المؤرخين المحدثين فى تفسير اعجاب ميخائيل الثالث بباسيل المقدونى :

Jenkins, Imperial Centuries, 165.

والاخلاص له(٥٦) • وبمساعدة هذه الجماعة من خاصته قام باسيل بتنفيذ أمر الامبراطور ميخائيل الثالث الخاص بتوجيه الضربة القاتلة ضد القيصر برداس فى ٢١ من ابريل سنة ٨٦٥ م • حقيقة ان بعض المشتركين فى تدبير مؤامرة قتل القيصر برداس كانت لهم مكانتهم فى القصر مثـــل سيمباتيوس Symbatios زوج ابنة القيصر برداس والذى كان يشغل منصب اللغثيت Logothetes ، ولكن الجماعة التى قامت بتنفيذ المؤامرة كانت تلك الجماعة الصغيرة من الاتباع المقربين التى ارتبط بها باسيل • وكانت هذه الجماعة تضم ماريانوس Marianus شقيق باسيل ، وشخص بلغــارى يدعى بطــرس ، وشـــخص ثالث يســـمى يوحنا الخـــالدى Joannes of Chaldia ، وشخص رابع يدعى قسطنطين توكساراس Constantine Toxaras (٥٧) • ويلاحظ انهم كانوا جميعا رجالا لا صفة لهم وغير معروفين مثل بقية حاشية الاتباع الخاصة المحيطة بالامبراطور والتى اشرنا لها من قبل •

وجدير بالذكر أن المثل الأعلى للعـــلاقة التى ربطـــت الامبراطور بحاشية اتباعه كانت رابطة الاخوة ، ولذلك نجد انه بعد تنفيذ مؤامرة قتل القيصر برداس قام ميخائيل الثالث باتخاذ باسيل المقدونى أخا له وبمقتضى ذلك انعم عليه بمنصب الامبراطور المشارك • ولكن يلاحظ أن باسيل حرص بعد ذلك على الفصل بين مركزه ومركز الامبراطور ميخائيل الضعيف ، ولهذا أخذ ينسحب تدريجيا من حاشية اتباع ميخائيل فهو لم يعد تابعا بل أصبح سيدا • واحتفظ لنفسه بجماعة اتباعه الخاصة ، وهى نفس الجماعة التى ساعدته فى قتـــل القيصر برداس من قبـــل والتى بمساعدتها بقتل الامبراطور ميخائيل بعد ذلك أيضا(٥٨) •

---

(56) Pseudo - Symeon, 676, 678.

(57) Pseudo - Symeon, 678.

(58) Georg. Mon. Cont., 837.

ويمكن القول انه ربما قام باسيل بتكوين جماعة اتباع خاصة به داخل اطار التبعية للامبراطور • وفى هذه الحالة أصبح باسيل سيدا لجماعته وظل فى نفس الوقت تابعا للامبراطور • ويذكرنا هذا الوضع بصورة الهرم الاقطاعى فى الغرب الأوربى •

ويبدو أن القيصر برداس كانت له أيضا جماعة من الاتباع المقربين، فالمصادر تشير اليهم بشكل أو بآخر[٥٩] • والمرجح أن القيصر استخدمهم من قبل فى الاطاحة باللغثيت ثيوكتيستوس Logothetes Theoctistus وقتله سنة ٨٥٦ م وتوطيد مركزه على رأس الحكومة البيزنطية • وكانت شخصيات هذه الجماعة من الاتباع مجهولة أيضا مثل اتباع الامبراطور ميخائيل • ويلاحظ أن المصطلحات التى استخدمتها المصادر فى التعبير عن الاتباع تصبح أكثر دقة ووضوحا فى وصفها لمؤامرة قتل القيصر برداس[٦٠] •

على أية حال ، ان قيام السادة ذوى النفوذ فى بيزنطة باحاطة أنفسهم بجماعات من الاتباع كان ظاهرة يمكن الرجوع بها الى بداية القرن التاسع الميلادى ، لأن جزءا كبيرا من أحداث التاريخ السياسى للامبراطورية فى العقد الثانى من القرن التاسع يقودنا الى واحدة من جماعات الاتباع Hetaireia • ففى عهد الامبراطور نقفور الأول Nicephorus I (٨٠٢ — ٨١١) ، ارتفع شأن القائد باردانس المعروف بالتركى Bardanes Turcus وأصبح منذ صيف سنة ٨٠٣ يشغل منصب Monostrategos أى القائد الأعلى للثيمات الخمس الكبرى فى آسيا الصغرى[٦١] • وتروى المصادر أن باردانس هذا أحاط نفسه بجماعة

(59) Gensius, 91; Vita Basilii Imperatoris, 232, 234.

(٦٠) تذكر المصادر أن اتباع ميخائيل Oikeioi كانوا مستعدين لقتل القيصر برداس حسب الخطة المتفق عليها ، الا ان تنفيذ المؤامرة تأجل وخفا من الرجال المحيطين بالقيصر • وهنا تفرق المصادر بين القادة العسكريين — الذين كانوا من أنصار القيصر برداس — وبين جماعة اتباعه Hetaireioeis Phatria التى كرست نفسها له ، انظر :

Vita Basilii Imperatoris, 236.

وقارن أيضا :

Genesius, 106.

(61) Theoph. Cont., 6.

وانظر أيضا :

Theophanes, I, 479; Jenkins, Imperial Centuries, 119; Ostrogorsky, State, 173.

من الشباب الذين كانوا مثل باسيل المقدونى من بيئة اجتماعية معــدمة ولكنهم كرسوا أنفسهم وتفانوا فى خدمة سيدهم • وفى وصف هــــذه الجمــاعة من اتبـــاع باردانس Bardanes تذكر المصـــادر تعبير Doryphoroi Kai Dianonoi أى الحرس الخاص والاتباع المقربين[٦٢] •
ومن حسن الحظ اننا نعرف أهم ثلاثة رجال فى هذه الجماعة من الاتباع : ليو الارمينى ، وميخائيل العمورى أو الفريجى ، وتوماس السلافى الذى كان ابنا لاحدى الاسر السلافية التى هجرتها الادارة البيزنطية الى آسيا الصغرى • ولقد لعب هؤلاء الرجال الثلاثة فى السنوات التالية أدوارا هامة فى تاريخ الامبراطورية ، فأصبح ليو الارمينى وميخائيل العمورى امبراطورين ، أما توماس السلافى فقد طمع فى العرش وقاد من أجل ذلك واحدة من أعنف الثورات فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية •

بالنسبة لليو الارمينى فالمعروف انه اضطر فى سن صــغيرة الى هجرة بلدته الارمينية لأسباب سياسية ، واستقر مع اسرته الفقــيرة فى بلدة تسمى بيدرا Pidra فى ثيم الاناضول[٦٣] • ومثل الكثيرين من أبناء الاسر الفقيرة انخرط ليو فى جند ثيم الأناضول • وكما لفت باسيل المقدونى نظر ثيوفيليتزس Theophilitzes ، لفت ليو نظــر القائد باردانس Bardanes بمظهره الحسن وقوته وشــجاعته[٦٤] • وكان بردانس فى البداية يشغل منصب قائد ثيم الأناضول •

---

(62) Theoph. Cont., 7 and 24.

(63) Theoph. Cont. 6.

وجدير بالذكر ان احد المصادر البيزنطية اشار الى أن ليو كان من أصل ارمينى وأصل سريانى فى نفس الوقت ، انظر :

Pseudo - Symeon, 603.

ولكن الدراسات الدقيقة أثبتت أن هذا لا يمت للحقيقة بصلة ، وأن ليو كان من أصل ارمينى فقط ، انظر :

Adontz, Leon V, 1—10; Charanis, Armenians, 23.

(64) Theoph. Cont., 6-7.

كذلك جاء ميخائيل من اسرة قروية فقيرة من نواحى مدينة عمورية (احدى مدن اقليم فريجيا القديم) وقاعدة ثيم الأناضول • ويبدو أن الفارق بين مستوى التعليم فى عمورية ومستواه فى القسطنطينية كان كبيرا ، فالقدر الذى تلقاه ميخائيل من التعليم كان ضئيلا للغاية كذلك كان لسانه ثقيلا فى نطق الكلمات كما كان بطيئا فى القراءة • ولكنه تمتع بموهبة فهم خصائص الحيوانات والتعامل معها • فقد كان خبيرا من الطراز الأول فى تربية الخيول(٦٥) • وكان لديه رغبة واحدة هى الهروب من الفقر • والمرجح أن القائد الكبير باردانس Bardanes قدر فيه خبرته بالخيول •

أما توماس السلافى Thomes the Slar — الرجل الثالث فى هذه الجماعة — فقد كان أيضا ابنا لأسرة فقيرة من نواحى Gazura-Sees فى ثيم الأناضول ، وبرز أيضا فى جند ثيم الأناضول لشجاعته ومهارته الفائقة(٦٦) •

ويمكن القول ان هؤلاء الرجال الثلاثة فضلا عن زملاء آخرين لهم فى الحاشية المحيطة بالقائد باردانس قد كونوا شيئا يختلف عن مجرد فصيلة حرس خاصة بهذا القائد الكبير • لقد كانوا أعضاء بارزين فى

---

(65) Theoph. Cont., 42—44 and 49.

ويروى ميخائيل السريانى أن جد الامبراطور ميخائيل الثانى كان يهوديا ثم اعتنق المسيحية ، انظر :

Michel le Syrien, III, 72.

وانظر أيضا :

Charanis, Armenians, 23; Jankins, Imperial Centuries, 141—141.

(٦٦) عن الأصل الفقير لتوماس السلافى ، انظر :

Genesius, 35.

وعن ثورته ، انظر :

Bury, Thomas the Slavonian, 55—60.

Bury, ERE, 85 ff.;

Vasiliev, Byzance et les Arabes, I, 22—49.

جماعة اتباع هذا القائد ومريديه ، وربطت بينهم وبينه علاقات وطيدة • وكان باردانس بالنسبة لهم أكثر من مجرد قائدهم فهـو مربيهم وولى نعمتهم وارتبطوا به بروابط المودة والثقة ، ثم تطور الأمر الى الروابط العائلية فأصبح ليو وميخائيل زوجين لابنتى سيدهم[٦٧] •

وجـدير بالذكر أن علاقة هؤلاء الاتبـاع الثلاثة بسيدهم سرعان ما اتخذت طبيعة تآمرية • ففى سنة ٨٠٣ أخذ القائد باردانس يستعد للثورة ضد الامبراطور نقفور • واعتقد باردانس انه يستطيع الاعتماد على القادة العسكريين فى ثيمان آسيا الصغرى الخاضعة لقيادته العليا ، ولكنه اعتمد أولا وقبل كل شيء على جمـاعة اتباعه وخاصته المقـربين Synistores [٦٨] ، وهم معاونيه وموضع ثقته الذين شاركوه التخطيط وكانوا بالطبع الهيئة التنفيذية لمشروع الثورة ولهذا السبب أصـبحوا مميزين ومعروفين • ولكن الثورة أخذت تتعثر ، وقام ليـو الارمينى وميخائيل العمورى بالتخلى عن سيدهم فى وقت مناسـب وانضما الى معسكر الامبراطور ، الذى عاملهما معـاملة خاصة تختلف عن معـاملة الضباط العاديين • فقد اهتم الامبراطور بهما واغدق عليهما الهبـات والعطايا وعينهما فى مناصب هامة مقـابل خيانتهما[٦٩] • أما توماس السلافى فقد ظل وفيا لسيده القائد بردانس دون أن يتمكن من تغير النهاية المحتومة لتلك الثورة • وأخذ ليو الارمينى يرتقى ويصعد بسرعة ، فقد عينه الامبراطور ميخائيل الأول رانجاب Michael I. Rangab (٨١١ —

(67) Genesius, 31; Theoph. Cont. 44.
(68) Genesius, 8.

(٦٩) قام الامبراطور نقفور الأول بتعيين ليو الارمينى فى منصب قائد فرقة المعاهدين Foederati فى الحرس الامبراطورى ، كما انعم على ميخائيل العمورى بلقب Komes Kortés ، انظر :

Theoph. Cont. 9.

وقارن أيضا :

Genesius, 10.

للمزيد عن فرقة المعاهدين فى الحرس الامبراطورى ، انظر :

Bury, Admin. System, 63—64 and 106.

٨١٣) قائدا لثيم الأناضول ، أى قائدا لواحد من أهم مناصب القيادة العسكرية فى آسيا الصغرى[٧٠] • وفى هذا المنصب الجديد ، حرص ليو على جذب رفيقه القديم ميخائيل الى جانبه • وتروى المصادر أن ليو تذكر روابط الصداقة القديمة وسنوات الشباب المشتركة مع رفيقه ميخائيل فى تبعية القائد باردانس[٧١] • وقرب ليو صديقه القديم ميخائيل وأخذ يفضى اليه باسراره وخططه التى كانت لا تستهدف شيئا أقل من العرش الامبراطورى • والمرجح أن يكون توماس قد انضم مرة أخرى الى جماعة رفاقه القديمة بعد عودته من المنفى •

ويلاحظ أن هذه الجماعة من الرفاق لم تعد مجرد جماعة رفاق سلاح لشباب طموح لا يشغل أية مناصب ذات أهمية ، فنشاط هذه الجماعة التى عملت من قبل فى تبعية القائد باردانس ، تجدد الآن فى ظل مستوى اجتماعى أعلى • وكما هو معروف نجحت خطط ليو الارمينى ، فقد أنتهز فرصة الهجوم البلغارى على بيزنطة وساهم فى عزل الامبراطور ميخائيل الأول — صاحب الفضل عليه — واعتلى هو نفسه العرش وعرف بليو الخامس (٨١٣ — ٨٢٠)[٧٢] • وصعد مع ليو بالطبع اتباعه المخلصون، وأصبح ميخائيل العمورى يشغل منصب قائد الفرقة الرئيسية من فرسان الحرس الامبراطورى Domestikos Ton Exkubiton كما أصبح توماس قائدا لفرقة المعاهدين Foederatin وهى أيضا من فرق الحرس

---

(70) Theoph. Cont., 12.

وانظر أيضا :

Jenkins, Imperial Centuries, 137.
Theoph. Cont., 12.

(٧٢) عن دور ليو الارمينى فى هزيمة الجيش البيزنطى أمام الخان البلغارى كروم فى ٢٢ من يونيو سنة ٨١٣ والظروف التى أدت الى اعتلائه العرش ، انظر :

Theophanes, I, 497—503;
Theoph. Cont., 12—17.

وانظر أيضا :

Ostrogorsky, State, 177—178;
Jenkins, Imperial Centuries, 128—129.

الامبراطورى[٧٣] • وهذا يعنى أن كلا من ميخائيل وتوماس قد أصبح يشغل منصبا عسكريا قياديا يرتبط بشكل معين بحماية الامبراطور وخدمته الشخصية • ودعم الامبراطور ليو الخامس هذه العلاقة بعقد أواصر الرابطة الروحية حيث أصبح ليو أبا روحيا لابن ميخائيل ومسئولا عنه[٧٤] • وهكذا عاشت الروابط القديمة لهذه الجماعة فى اطار المناصب الجديدة ، وانتقلت جماعة الرفاق الى القصر الامبراطورى لتؤمن مركز الامبراطور فى مواجهة هرم المناصب الوظيفية ونفوذ شاغليها فى الحكومة والقصر •

وتتضح العقلية العجيبة التى تحكم هذه التشكيلات من جماعات الاتباع فى هذه الصحبة من الرفاق بشكل خاص • فالاخلاص والوفاء والارتباط بالسيد شىء مسلم به طالما كانت الأهداف واحدة والمصالح مشتركة • أما اذا تخطى هدف أو مصلحة أحد أفراد هذه الجماعة من الاتباع هدف أو مصلحة سيدها أو بقية الرفاق ، يحل محل الاخلاص والوفاء صفات أخرى هى الجحود والخيانة • ولا ينطبق هذا على ليو الارمينى فقط ، بل أيضا على ميخائيل العمورى الذى أخذ ينظر بعين الحسد للمكانة التى وصل اليها رفيقه القديم ليو ، وبدأ خطط ليعتلى هو العرش بدلا من رفيقه السابق وسيده الحالى[٧٥] •

---

(73) Genesius, 12.

بالنسبة لتعيين توماس قائدا لفرقة المعاهدين Tourmarches Foederaton
انظر أيضا : Theoph. Cont., 24.
للمزيد عن منصب

Domestikos ton exkubiton
Bury, Admin. System, 57—60;
Ahrweiler, Recherches, 26, 29, 30;
Jones, LRE, I, 658—659.

(74) Genesius, 12; Theoph. Cont., 23—24.

(٧٥) عن توتر العلاقات بين ليو الارمينى وميخائيل العمورى والمؤامرة التى دبرها اتباع ميخائيل لقتل ليو ، انظر :
Theoph. Cont., 33—40; Jenkins, Imperial Centuries, 137—139; Bury, ERE, 48—55.

أما توماس فلم يشترك فى مؤامرة قتل ليو الارمينى لأن ميخائيل لم يخبره بما نوى وخطط له مع جماعة اتباعه الخاصة • وما أن اعتلى ميخائيل العمورى العرش باسم ميخائيل الثانى (٨٢٠ — ٨٢٩) ، بعد قتل الامبراطور ليو الخامس ، حتى ثار توماس السلافى باسم الوفاء والاخلاص للامبراطور القتيل وللانتقام من الخائن ميخائيل • وبدأت تلك الثورة التى يحلو لبعض المؤرخين المحدثين وصفها بانها كانت أكبر ثورة اجتماعية فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية(٧٦) •

ويلاحظ أن هناك تشابه كبير فى الاحوال داخل دائرة اتباع Hetaireia القائد بردانس ودوائر اتباع كل من ثيوفيليتزس Theophilitzes ، وميخائيل الثالث ، والقيصر برداس • فكل اتباع هؤلاء السادة كان لديهم رغبة الارتقاء الاجتماعى ، كما بدأوا تبعيتهم لسادتهم بنفس الامكانيات المادية تقريبا ، واستغلوا روابط التبعية لاغراض سياسية غلبت عليها الطبيعة التآمرية • كذلك كانت جميع هذه الجماعات من الاتباع عبارة عن تشكيلات تكونت من خارج الهيكل الرسمى للحكومة البيزنطية ، ودائما كان أحد أفراد كل جماعة يحرص على التحرك الى أعلى خارج نطاق دائرة جماعته ورفاقه متجاوزا مركز سيده • وبالطبع كان من الضرورى تكوين جماعات جديدة من الاتباع للسادة الجدد فى المستويات الجديدة التى ارتفعوا اليها فضلا عن تحريك المسرح الى أعلى• ولكن العقلية التى سادت جماعات الاتباع هذه استمرت أيضا فى المراكز التى ارتفعت اليها •

واذا انتقلنا الى القرن العاشر الميلادى سنلاحظ أن جماعات الاتباع استمرت كظاهرة واضحة فى الدولة البيزنطية كما يتضح من الاشارات المتناثرة فى المصادر • ولكن المصطلحات التى استخدمتها المصادر فى وصف الاتباع لم تكن دائما واضحة ، وفى كثير من الأحيان كان الفصل بين الاتباع من ناحية والخدم العاديين من ناحية أخرى مسألة صعبة •

---

(٧٦) عن ثورة توماس السلافى ، انظر حاشية رقم ٦٦ •

وجـــدير بالذكر أن حاشية اتبـــاع كل من الامبراطور اســـكندر Alexander (٩١٢ — ٩١٣) والامبـــراطور رومانوس الثـــــانى Romanus II. (٩٥٩—٩٦٣) غلب عليها اللهو والمجون • وربما كان هذا أمرا متوقعا من امبراطور مشارك ووارث للعرش ابتعد عن أمور الحكم فترة طويلة قضى فيها وقته فى اللهو مع صحبة ماجنة من رفاق السوء ، كان هو سيدها ولم يكن يستطيع الاستغناء عنها • ولهذا فان اشارات المصادر لهذه الجماعة من الاتباع يصبح ذو قيمة أقل[٧٧] • ان الاسماء التى ذكرتها المصادر لاتباع الامبراطور اسكندر عبارة عن اسماء لرجال لا يشغلون أية مناصب حكومية وبلا مكانة اجتماعية مثل : يوحنا لازارس Joannes Lazares وجابريلوبولوس Gabrielopulus ، وبازيليتزس السلافى Basilitzes [٧٨] • ولقد أشارت المصادر الى أن الامبراطور أغدق عليهم الأموال الكثيرة ، بل وفكر جديا فى تخطى ابن أخيه قسطنطين السابع واختيـــار واحد منهم — المدعـــو بازيليتزس Basilitzes — ليكون خلفا له على العرش[٧٩] • أما بالنســـــبة للامبراطور رومانوس الثانى فيلاحظ أن المصادر ميزت بعناية بين موظفيه الرسميين من ناحية وحاشية اتباعه الخاصة Hetairekotes من ناحية أخرى[٨٠] •

---

(٧٧) عن اشارات المصادر لاتباع الامبراطور اسكندر ، انظر :
Scylitzes, 194; Cedrenus, II, 275—276.
وعن اشارة المصادر لحاشية اتباع الامباطور رومانوس الثانى ، انظر :
Scylitzes, 248; Cedrenus, II, 339;
Leo Diaconus, 30.

(78) Scylitzes, 194; Cedrenus, II, 275.
بالنسبة للاصل السلافى للمدعو بازيليتزس Basilitzes ، انظر :
Theoph. Cont., 379.

(79) Theoph. Cont., 379.
وانظر أيضا :
Runciman, Romanus Lecapenus, 46.

(80) Scylitzes, 248, 254; Cedrenus, II, 339, 345.

أما الامبراطور رومانوس الأول ليكابينوس Romanus I. Lecapenus (٩٢٠ — ٩٤٤) فلم يكن فى حاجة الى جماعة خاصة من الاتباع لمساعدته فى اعتلاء العرش الامبراطورى • فالفوضى والارتباك فى بيزنطه فى أعقاب وفاة الامبراطور اسكندر فى ظل انقسام مجلس الوصاية على نفسه وتهديد القيصر البلغارى سيميون Symeon ، كانت ظروف استدعت أن يتولى الحكم امبراطور قوى كوصى على الطفل الصغير قسطنطين السابع[٨١] • وكان رومانوس ليكابينوس كقائد للاسطول يملك القوة الضرورية التى ساعدته على التخلص من منافسيه على هذا المنصب دون أن يكون فى حاجة الى تكوين جماعة من المتآمرين لمساعدته فى هذا الصدد • ومع ذلك فحين نتتبع الطريق الذى سلكه رومانوس حتى وصل الى العرش ، نجد أن المصادر تشير الى رجال لم يشغلوا أية مناصب عسكرية ولكنهم لعبوا من أجله دورا حاسما فى المشاورات التى انتهت بدعوته الى القسطنطينية ، مثل : الاسقف يوحنا Joannes وشخص آخر يدعى ثيودور ماستزوسيس Theodorus Mastzusis[٨٢] •

وبعد أن وصل رومانوس ليكابينوس الى السلطة انشغل دائما بابعاد المنافسين الأقوياء Dynatoi الآخرين الذين كانوا يطمعون فى منصبه ، كما حرص على الحيلولة دون تكون جماعات تتآمر ضده • ورغم

---

(٨١) بالنسبة لحالة الفوضى والارتباك الذى أعقب وفاة الامبراطور اسكندر وحتى اعتلاء رومانوس ليكابينوس ، فضلا عن الخطر البلغارى الذى هدد بيزنطة من الخارج ، انظر :

Runciman, Romanus Lecapenus, 47—62;

Jenkins, Imperial Centuries, 230—237;

Ostrogorsky, State, 231—234.

(82) Theoph. Cont., 393.

وانظر ايضا :

Runciman, Romanus Lecapenus, 59.

كل هذا سقط الامبراطور رومانوس فى النهاية سنة ٩٤٤ م على يد جماعة اتباع ابنه ستيفن Stephen [83] •

ويلاحظ ان نجاح الامبراطور نقفور فوقاس Nicephorus Phocas (٩٦٣ — ٩٦٩) فى اعتلاء العرش قد تم بصورة استخدمت فيها أحدى جماعات الاتباع لخدمة أغراض سياسية •وكان الخصى الداهية باسيل ، الذى كان ابنا غير شرعى للامبراطور رومانوس ليكابينوس [84] ، وهو سيد هذه الجماعة من الاتباع التى ساعدت نقفور فوقاس • وكان الخصى باسيل هذا يشغل منصب براكيمومينوس Parakoimomenus فى عهد الامبراطور قسطنطين السابع وتولى ادارة الحكومة البيزنطية نيابة عن الامبراطور [85] ، ولكنه اضطر بعد وفاة قسطنطين السابع الى التخلى عن منصبه القيادى فى ادارة الحكومة البيزنطية لصالح جوزيف برناجس Joseph Bringas الذى أصبح الوزير الأول Paradynasteuon

---

(٨٣) بالنسبة لمؤامرة ستيفن واتباعه ضد والده رومانوس ليكابينوس ، انظر :

Theoph. Cont., 435; Scylitzes, 235; Cedrenus, II, 323.
Runciman, Romanus Lecapenus, 232;

وانظر ايضا :

Jenkins, Imperial Centuries, 253;
Ostrogorsky, State, 246.

(84) Scylitzes, 237—238; Cedrenus, II, 326—237; Zonaras, III, 432—483.

وانظر ايضا :

Toynbee, Constantine, 12; Jenkins, Imperial Centuries, 258, 266 and 267.

(٨٥) عن حياة الخصى باسيل ليكابينوس ، انظر :

Brokkaar, Basil Lecapenus, 199—234.

للمزيد عن منصب براكيمومينوس Parakoimomenos ، انظر :

Guilland, Recherches, I, 202—211;
Oikonomidés, Préséance, 305;
Bury, Admin. System, 124—125.

فى عهد الامبراطور رومانوس الثانى[86] •

والمعروف أن الامبراطور رومانوس الثانى توفى فجأة فى ١٥ من مارس سنة ٩٦٣ تاركا وراءه طفلين صغيرين هما باسيل وقسطنطين ، وتنافس على السلطة رجلان : جوزيف برنجاس من ناحية والقائد نقفور فوقاس من ناحية أخرى[87] • وفى اللحظة الحاسمة اطلق الخصى باسيل كل اتباعه Hetaireia البالغ عددهم ٣ آلاف رجل لضرب اتباع ومؤيدى برنجاس Bringas الذى رفض قبول ترشيح نقفور فوقاس لاعتلاء العرش • واستطاع اتباع الخصى باسيل السيطرة على القسطنطينية ، وأصبح فى امكان نقفور فوقاس أن يغامر بدخول العاصمة[88] • وبالطبع كافأ نقفور فوقاس ، بعد نجاحه فى اعتلاء العرش ، الخصى باسيل بأن نقل اليه مرة أخرى مقاليد ادارة الحكومة البيزنطية • واذا كان الخصى باسيل هذا قادرا باشارة من يده على اطلاق ثلاثة آلاف رجل ، فالمرجح أن هذا العدد الكبير ضم كل أهل بيته ، وعدد كبير من الخدم — فباسيل كان على درجة كبيرة من الثراء — فضلا عن عدد كبير من الاتباع المسلحين وكل من استطاع تجنيده من الأقارب والأصدقاء والانصار[89] •

---

(86) Scylitzes, 248; Cedrenus, II, 339; Zonaras, III, 490.

وانظر ايضا :

Jenkins, Imperial Centuries, 270; Ostrogorsky, State, 251.

(87) Leo Diaconus, 31.

وكان نقفور فوقاس يشغل فى ذلك الوقت منصب القائد العام للقوات البيزنطية فى الشرق Domestikos tes Anatoles

للمزيد عن هذا المنصب ، انظر :

Bury, Admin. System, 49—51.

(88) Leo Diaconus, 46—49; Scylitzes, 256—259; Cedrenus, II, 347—351.

(89) Leo Diaconus, 47; Scylitzes,258; Cedrenus, II, 349; Zonaras, III, 498.

ولم تكن جماعات الاتباع ظاهرة قاصرة على مدينة القسطنطينية فقط بل وجدت أيضا فى الأقاليم • فالمصادر تشير الى هذه الجماعات من الاتباع حين تتناول الثورات الكبيرة التى قام بها أبناء طبقة الارستقراطية العسكرية فى آسيا الصغرى ، وخاصة ثورات أبناء عائلة فوقاس وعائلة سكليروس فى العقود الأخيرة من القرن العاشر الميلادى •

أما أولى تلك الثورات الكبيرة فهى تلك الثورة التى قام بها برداس فوقاس Bardas Phocas ابن شقيق الامبراطور نقفور فوقاس ، الذى قتله يوحنا تزيمسكس فى ديسمبر سنة ٩٦٩ • وتروى المصادر أن برداس تآمر مع اثنين من أقاربه هما الأخوين ثيودور ونقفور بارزاكوتنوس Parsacutenus ، ونجح فى الهرب من منفاه فى أماسيا Amaseia وعاد الى بيت أسرته فى قيصرية Caesarea قاعدة ثيم قبدوقيا Cappadocia • وهناك على أرضه وبين عشيرته قام بتجنيد الرجال والمغامرين ، الذين كانوا يميلون الى جانب كل تمرد أو انقلاب ، ولكنه اعتمد أيضا على أقاربه وعشيرته الضخمة واتباعه[٩٠] • وهنا يجب ألا ننسى أن عائلة فوقاس كانت من أكبر وأقوى عائلات كبار ملاك الأرض الزراعية وكانت أراضيها الزراعية منتشرة فى ثيم قبدوقيا[٩١] • وهكذا استطاع برداس تكوين جيش من الاتباع والمؤيدين ، ولكن الثورة فشلت بعد أن نجح الامبراطور وحنا تزيمسكس فى اغراء المغامرين تدريجيا على ترك الثائر والانضمام الى جانبه • ولم يبق لبرداس فى النهاية سوى عشيرته التى كانت بالطبع أساس جماعة اتباعه ومصدر قوة أسرته[٩٢] •

---

(90) Leo Diaconus, 113.

(٩١) عن ممتلكات عائلة فوقاس ومركزها الاجتماعى ، انظر :
Vryonis, Time of Troubles, 174;
Vryonis, Medieval Hellenism, 24—25;
Djuric, Phocas, 195—291.

(٩٢) عن تفاصيل ثورة برداس فوقاس ضد الامبراطور يوحنا تزيمسكس انظر :
Leo Diaconus, 113—126; Scylitzes, 291—294; Cedrenus, II, 388 — 392.

وتتكرر ثورة العسكريين الارستقراط مرة أخرى في بداية عهد باسيل الثانى (٩٧٦ — ١٠٢٥) حين انلعت ثورة برداس سكليروس Bardas Sclerus سنة ٩٧٦ م ، ومن بعدها ثورة برداس فوقاس الثانية سنة ٩٨٧م[٩٣] • وتروى المصادر أن برداس سكليروس لم يخطط للثورة بالتشاور مع القادة العسكريين فقط ، بل مع خاصته المقربين أيضا وغامر باعلان الثورة مع جماعة اتباعه • وسرعان ما انضم الى معسكره أعداد غفيرة من المغامرين والأرمن والعرب القاطنين منطقة الحدود البيزنطية الاسلامية[٩٤] •

ويبدو أن الامبراطور باسيل الثانى كانت له أيضا جماعة أتباعه الخاصة ، اذ يروى أحد المصادر البيزنطية انه بعد وفاة والد الطفلين اسحاق ويوحنا كومنين Comnenus أخذ الامبراطور باسيل على عاتقه مسئولية تربيتهما فاحضر لهما المربين والمعلمين الذين اهتموا بتنشئتهما وتعليمهما اصول فن الحرب والقتال • وما أن أصبح اسحاق ويوحنا شابين يافعين حتى قام الامبراطور بضمهما الى جماعة اتباعه Hetaireia • فقد كان من عادة الأباطرة البيزنط الترحيب بابناء النبلاء للعمل فى خدمتهم[٩٥] • ويجب ألا نفترض أن المقصود هنا ضم يوحنا واسحاق

---

(٩٣) للمزيد عن ثورة برداس سكليروس ضد الامبراطور باسيل الثانى ، انظر :

Scyl itzes, 315 ff.; Cedrenus, II, 418 ff., Zonaras, III, 539 ff.

وانظر أيضا :

Seibt, Die Skleroi, 37—56.

وعن ثورة برداس فوقاس الثانية ضد باسيل الثانى ، انظر :

Scylitzes, 332—338; Cedrenus, II, 438—446; Zonaras, III, 551 — 554.

وانظر أيضا :

Seibt, Die Skleroi, 51—54.

(94) Scylitzes, 315—316; Cedrenus, II, 418—419; Zonaras, III, 539—541.

(95) Nicephore Bryennios, 75—76.

كومنين الى فرقة الحرس الروسية الخاصة بالامبراطور باسيل الثانى • فهذه الفرقة من الحرس الامبراطورى التى أصبحت تسمى Hetaireia أيضا كانت عبارة عن تشكيل عسكرى من العناصر الروسية فقط ، وأصبحت فى عهد باسيل الثانى أهم فرق الحرس الامبراطورى[٩٦] • والمرجح وجود جماعات مختلفة أخرى من الاتباع Hetaireia الى جانب غرفة الحرس الامبراطورى فى عهد الامبراطور باسيل الثـــانى • ولكن من الصعب هنا أن نميز بوضوح بين فرقة الحرس الامبراطورى الرئيســية وحاشية اتباع الامبراطور •

وفى عهد الامبراطورين ميخائيل الرابع البافلاجونى (١٠٣٤ — ١٠٤١) وابن اخته ميخائيـــل الخـــامس كلافاتس Calaphates (١٠٤١ — ١٠٤٢) ، يظهر الاتباع فى صورة عشيرة اسرية على رأسها الخصى المعروف يوحنا اورفانوتروفوس Orphanotrophus شـــقيق الامبراطور ميخائيل الرابع • وكان يوحنا هذا أحد كبار موظفى القصر الامبراطورى ولعب دورا هاما مع اتباعه فى اعتلاء شقيقه ميخائيـــل الرابع للعرش ومن بعده ابن اخته ميخائيل الخامس[٩٧] •

واذا انتقلنا الى عهد الامبراطور الضعيف ميخائيل الســـــادس (١٠٥٦ — ١٠٥٧) نجد أن المؤامرات تحاك منذ البداية لاسقاطه • وكانت أول محاولة للثورة هى تلك التى قام بها ثيودوسيوس Theodosius ،

---

(96) Blondal, Varangians, 44—53.

وانظر أيضا حاشية رقم ٥٠ •

(٩٧) عن دور يوحنا اورفانوتروفوس John Orphanotrophus هذا ، انظر :

Psellos, Chron., I, 5—56, 66—67, 86—88;

Scylitzes, 390—393, 416—417;

Cedrenus, II, 504, 508, 534—535.

أحـــد أقارب الامبراطور الســـابق قســـطنطين التاســـع مونوماخوس Constantine IX. Monomachus (١٠٤٢ — ١٠٥٥) ، بالاتفاق مع اتباعه فى العاصمة .

وباسلوب واضح تشير المصادر الى أن أنصار هذا الطامع فى العرش كانت تتكون من ثلاث جماعات : أهل بيتـــه Oikogeneis ، وخدمـــه Doyloi ، واتباعه ، ثم انضم اليهم الجيران والأصدقاء[٩٨] . واذا كانت هذه الثورة قد فشلت ، فان النجاح قد حالف ثورة القائد اسحاق كومنين بفضل المساعدة الفعـــالة التى قدمها له ميخائيـــل كرولاريوس Michael Cerularius بطريرك القسطنطينية (١٠٤٣—١٠٥٨)[٩٩] .

وفى العهـــد المضـــطرب للامبراطور ميخائيـــل الســـابع دوقاس Miclael VII. Ducas (١٠٧١ — ١٠٧٨) قام اثنان من أبنـــــاء الارستقراطية العسكرية بالثورة ضده ، فقد قام القائد نقفور بريينيوس Nicephorus Bryennius قائد ثيم ديراخيوم Dyrrachium بالثورة فى القسم الأوربى من الامبراطورية ، بينما قام القائد نقفـــور بوتانياتس Nicephorus Botaneiates قائد ثيم الأناضول بالثورة فى آسيا الصغرى[١٠٠] . وقدر لثورة الأخير النجاح فى النهاية . فما أن وصل بوتانياتس بجيشه الى نيقية فى مارس سنة ١٠٧٨ م،

---

(98) Scylitzes, 481; Cedrenus, II, 612—613;
Zonaras, III, 655.

(٩٩) كان البطريرك ميخائيل كرولاريوس وراء اشعال ثورة ســـكان القسطنطينية لصالح اسحاق كومنين . وفى هذه الثورة تجمع النـــاس فى كنيسة الحكمة المقدسة حيث نادوا باسحاق كومنين امبراطورا ، وكان على راس المجتمعين رؤساء النقابات التجارية والحرفية بالعاصمة ، انظر :
Attaleiates, 58; Scylitzes, 498—499;
Cedrenus, II, 635—636; Vryonis, Democratia, 309.

(١٠٠) عن هاتين الثـــتين والأحوال المضطربة فى الامبراطورية فى ذلك الوقت ، انظر :
Attaleiates, 262—290.

حتى اهتزت القسطنطينية على صوت نداء يدعو جماهير الناس للثـــورة على الامبراطور • وخرجت جمـــاعات من الناس الى شـــوارع المدينة استجابة لنداء الثورة(١٠١) • وذكر أحد المصادر البيزنطية أن الذين تجمعوا في كنيسة الحكمة المقدسة بالعاصمة استجابة لنداء الثورة كانوا الأعضاء البارزين في مجلس السناتو ، وكبار رجال الدين والرهبان والتجار(١٠٢) •

ولكن المرجح أن أبناء الطبقة العليا تجمعوا مع اتباعهم لانهاء الحكم المخزى للامبراطور ميخائيل السابع • وهنا يلاحظ أن نقفور بوتانياتس كان له اتباعا يعملون لصـــالحه فى العاصمة • وكما فعـــل رومانوس ليكابينوس من قبل ، أرسل بوتانياتس أحد اتباعه — وهو شـــخص يدعى بوريلوس Borilus — ليتولى مع آخرين فى العاصمة مهمة الاستيلاء على القصر الامبراطورى وتمهيد الطريق لدخول الثائر للعاصمة(١٠٣) •

وبعد أن نجح نقفور بوناتياتس فى اعتلاء العرش قام بتعيين تابعه بوريوس Borilus هذا مع تابع آخر يدعى جرمانوس على رأس جهاز الحكومة الامبراطورية(١٠٤) •

على أية حال ، اذا أردنا أن نقيم هذه الظاهرة فى اطـــار النظم الاجتماعية والســـياسية للامبراطورية البيزنطيـــة مع مقابلتها بالنظـــم المشابهة والمعاصرة فى الغرب الأوربى ، فجب علينا أن نضيف الملاحظات التالية :

---

(101) Zonaras, III, 719; Scylitzes Continuatus, 733; Attaleiates, 269—270.

(102) Attaleiates, 270. وانظر أيضا :

Vryonis, Democratia, 311.

(103) Seylitzes Continuatus, 734. قارن أيضا :

Vryonis, Democratia, 311.

(104) Scylotzes Continuatus, 743.

أولا : ليس هناك شك فى حقيقة أن ظاهرة التبعية الشخصية لم يكن لها أى وضع قانونى • كذلك ليس لهذه الظاهرة أية علاقة بالقانون الدستورى وما يتعلق به • فالامبراطورية البيزنطية — على خلاف الغرب الأوربى — عاشت طوال العصر الوسيط دولة بمعنى الكلمة ولم يستوعب نظامها الدستورى مثل هذه الظاهرة •

ثانيا : يلاحظ أن جماعات الاتباع لم تكن فى كل الأحوال ظاهرة سياسية ، فعلى الأقل فى حالة ثيوفيليتزس Theophilitzes لاحظنا أن حاشية اتباعه كانت تعبير عن أهميته ومركزه الاجتماعى • ولكن فى أغلب الحالات التى استعرضناها كانت جماعات الاتباع تظهر فى صورة روابط وتحالفات سياسية ذات أهداف تآمرية بشكل خاص • وكانت هذه الروابط تنمو وتتقدم فى أحسن الأحوال حين يكون هناك اعداد لتمرد أو ثورة أو انقلاب داخلى فى القصر الامبراطورى •

ثالثا : يلاحظ أن ظاهرة التبعية الشخصية البيزنطية لم تعرف أبدا السيادة الاقطاعية • لقد كان السيد فى بيزنطة راعيا لاتباعه ولكن رعايته وسيادته لم تكن بغرض حماية أراضى اتباعه والدفاع عنها ، كما أن عمل الاتباع فى خدمة السيد لم تكن لهذا الغرض • ولهذا تفتقر ظاهرة التبعية الشخصية البيزنطية لكل أشكال التعهد ومنح الأرض الزراعية مقابل الخدمة • كذلك لا يبدو أن هذه الظاهرة كانت مقدمة للنظام الاقطاعى البيزنطى ، هذا اذا جاز لنا استعمال مثل هذا الاصطلاح الغربى •

رابعا : كانت ظاهرة التبعية الشخصية البيزنطية تعبير عن المجتمع البيزنطى المفتوح الذى أتاح أمام كل طموح فرصة الارتقاء الاجتماعى • ويمكن ادراك هذه الحقيقة اذا أخذنا فى الاعتبار التغيرات الاجتماعية الجذرية التى تحدث بمجرد أن ينجح شخص ما بمساعدة اتباعه فى اعتلاء

العرش الامبراطورى[١٠٥] • وجدير بالذكر أن الانضمام لجماعة اتباع أحد السادة الأقوياء كانت ترفع الفرد الى مكانة النبلاء أو أبناء الطبقة العليا ، مع ملاحظة أن هذه المكانة ليست بالمعنى السائد فى الغـــرب الأوربى لأن الانتماء للطبقة العليا أو طبقة النبلاء فى بيزنطة ليس له صفة الاستمرار والدوام كما انه غير وراثى • أى أن المكانة الاجتماعية للسيد Kyrios كانت تنتقل تلقائيا الى اتباعه ، ويفتح هذا أمامهم الباب ليصبحوا هم أنفسهم سادة أقوياء Dynotoi حتى لو كانوا فى الأصل ينتمون لبيئة معدمة •

خامسا : يلاحظ أن هناك وجه دستورى تاريخى لظاهرة التبعيـــة الشخصية فى المجتمع البيزنطى • لقد عاشت الامبراطورية البيزنطية طوال أكثر من ألف عام امبراطورية انتخابية • حقيقة لقد غطى على هذه الفكرة تعاقب أبناء الأسرة الواحدة على العرش الامبراطورى ، ورغم ذلك لم تفقد هذه الفكرة أهميتها • ففى كل مرة انتهى فيها حكم أسرة من الاسر ، كان الناخبون يظهرون فى الصورة وبسلطان كامل • ويمكن القول أن دور الناخبين لم يقتصر على الهتاف باسم الشخص الذى اختـــاره الامبراطور قبل وفاته ليخلفه على العرش ، بل كان هناك فى كثير من الأحيان اختيار حقيقى وفيه توقفت أهمية الفئات الانتخابية المنفـــردة (الجيش والسناتو والشعب) على الأهمية الاجتماعية السائدة لكل فئة فى ذات الوقت وما تمتلكه من نفوذ • وفى عصر لم يعرف الأحزاب الحديثة لأنه لم يكن بمقدوره أن يعرفها بسبب الافتقار لوسائل الاتصال الحديثة، كان على المرشح أو الطامع فى العرش أن يجد طرقا ووسائل تجعله قريبا من الناخبين ومألوفا لديهم كى يتمكن من فرض نفسه عليهم •

---

(١٠٥) وسام : « أضواء على مجتمع القسطنطينية : دراسة فى التـــاريخ الاجتماعى لمدينة قسطنطين حتى نهاية القرن الحادى عشر » — مقال منشور بمجلة كلية الآداب جامعة المنصورة — العدد الخامس ١٩٨٤ ، ص ٧٨—٧٩ .

وهنا تظهر جماعة الاتباع فى مكان الحزب الرئيسى بالنسبة للطامع فى التاج اذ تتولى توفير القوة السياسية المناسبة — وعند الضرورة القوة العسكرية أيضا — التى تعتبر ضرورية فى الانتخاب • وهكذا يفوز الطامع فى العرش بالانتخاب بفضل حاشية اتباعه وغالبا بفضلها فقط • ويلاحظ انه بعد الفوز بالتاج كان الامبراطور لا يقوم باتلخلص من اتباعه بل يحرص على الابقاء عليهم والاستفادة منهم •

سادسا : يلاحظ انه فى تعاقب أبناء الاسرة الواحدة على العرش الامبراطورى كان الواحد منهم يرئث مع التاج هيئة موظفى الحكومة والقصر الخاص بسلفه • وربما قام الامبراطور الجديد بتغير أشخاص كبار الموظفين الذين شغلوا مناصب الادارة العليا بسبب حنقه عليهم خلال فترة ولايته للعهد ، ولكن بصفة عامة كان الامبراطور يستطيع الاعتماد على بقية موظفى الجهاز الحكومى لأنهم الانصار القدامى للاسرة الحاكمة • أما بالنسبة للامبراطور الذى لا تربطه أية صلة قرابة بشخص سلفه ، أى ذلك الشخص الطموح الذى استطاع أن يشق طريقه ويصل الى العرش ، فقد كان عليه أن يتعامل مع جهاز موظفى الحكومة • وكان فى امكان هؤلاء الموظفين أن يضعوا العراقيل أمام الامبراطور الجديد ويجعلوا مهمته بالتالى صعبة • ولم يكن سهلا على الامبراطور المتوج حديثا والذى يعتبر رجلا جديدا حسب التعبير الرومانى Homo Novus أن يقوم بطرد كل موظفى الحكومة واستبدالهم بآخرين على الفور ، فمثل هذا التصرف كان غير مأمون فى ظل هذه الظروف • ولهذا حرص هؤلاء الأباطرة الجدد على الاحتفاظ بهيئة موظفى الحكومة التى لا يمكن الاستغناء عنها ولكنهم قاموا بمساعدة اتباعهم بمراقبة هؤلاء الموظفين والسيطرة عليهم •

وهكذا كان الامبراطور يناقش مع حاشية اتباعه خططه السياسية وبعض الأمور الأخرى التى كانت أما غير مناسبة للموظف أو ليس بمقدوره

التجاوب معها • ولهذا كان يمكن لحاشية الاتباع أن تصبح فى أية لحظة السلاح السياسى الحقيقى للامبراطور فى الداخل •

حقيقة كان الامبراطور يحكم بمساعدة هيئة موظفى الحكومة ، الا انه كان يحمى نفسه من مناورات هذه الهيئة من الموظفين ويردأ عن نفسه الخطر باستخدام جماعة اتباعه الخاصة التى تتكون من خارج التشكيل الحكومى • وهى جماعة من الرجال تأتى للعمل فى خدمـــة الامبراطور وتبقى خارج هيكل المناصب الحكومية الرسمية • وتتولى هذه الحاشية من الاتباع القيا مبأى عمل سياسى للأمبراطور ، أى تضـــمن له حرية العمل السياسى الذى لا يستطيع أن يؤديه موظفيه الرسميين لأنهم ليسوا فى مركز يسمح لهم بذلك طبقا للتقاليد •

قائمـة

المصادر والمراجع والمختصرات

— Adontz, Basile I : N. Adontz, «L'âge et l' Origine de l' Empereus Basile I (867—886)», B, 8 (1933), 475—500; 9 (1934), 223-260.

— Adontz, Leon V : N. Adontz, «Sur l' Origine de Leon V, Emperur de Byzance», Armeniaca, 2 (1927), 1—10.

— Ahrweiler, Recherches : H. Ahrweiler, «Recherches sur l' Administration de l' Empire Byzantin aux IXe—XIe Siécles», B C H, 84 (1960), 1—109.

— Attaleiates : Michaelis Attaliotae Historia, ed. I. Bekker (Bonn, 1853).

— B. Byzantion. Bruxelles (Paris) 1924 ff.

— BAc Belg, Bulletin e la Classe des Lettre et des Sciences marales et Politiques Académie Royale de Belgique.

— B C H, Bulletin de Correspondance Hellénique. Paris 1877 ff.

— Blondal, Varangians, S. Blondal, The Varangians of Byzantium. An Aspect of Byzantine Military History, translated, revised and rewritten by B. Benedikz (Cambridge, 1978).

— Bréhier, Institutions, L. Bréhier, Les Institutions de l'Empire Byzantin (Paris, 1949). «= Le Monde Byzantin vol. II.».

— Brokkaar, Basil Lecapenus, W. G. Brokkaar, «Basil Lecapenus. Byzantium in the Tenth Century», Byz. Neerland, 3 (1972), 199—234.

— Bury, Admin. System, J. B. Bury, The Imperial Adminstrative System in the Ninth Century, with a Revised Text of the Kletorologion of Philotheos (London, 1911).

— Bury, ERE, J. B. Bury, A History of the Eastern Roman Empire from the Fall of Irene to the Accession of Basil I «852 — 67» (London, 1912).

— Bury, Tomas the Slavonian, J. B. Bury, «The Identity of Thomas the Slavonian», BZ, I (1892), 55—60.

— Bury, Treatise, J. B. Bury, «The Treatise De Administrando Imperio», BZ, 15 (1906), 517—577.

— Byz. Neerland, Byzantina Neerlandica. Studia Byzantina et Neohellenica. ZsiPa

— BZ, Byzantinische Zeitschrift. (Leipzig) München 1892 ff.

— Cedrenus, I. Cedenus, Compendium Historiarum, ed. I. Bekker (Bonn, 1838—1839), 2 vols.

— Charanis, Armenians, P. Charanis, The Armenians in the Byzantine Empire (Lisboa, 1963).

— CMH, The Cambridge Medieval History, 2nd revised edn. J. M. Hussey (Cambridge, 1966), vol. IV.

— Djuric, Phocas, I. Djuric, «La famille des Phocas», ZRVI, 17(1976) 195—291.

— Dolger, Byzanz, F. Dolger, Byzanz und die Europaische staatenwelt, new ed. (Darmstadt, 1964).

— Dolger, Paraspora, F. Dolger, Paraspora (Ettal, 1961).

— DOP, Dumbarton Oaks Papers. (Cambridge/Mass.) Washington 1941 ff.

— Dvornik, Iconoclasm, F. Dvornik, «The Patriarch Photius and Iconoclasm», DOP, 7 (1953), 69—79.

— Ensslin, Government, W. Ensslin, «The Government and Administration of the Byzantine Empire», CMH, IV, pt. 2. (1976), 1-54.

— Genesius, J. Genesius, Regna, ed. C. Lachmann (Bonn, 1834).

— Georg. Mon. Cont. Georgius Monachus Continuatus, Vita Recenti-orum Imperatorum, ed. I. Bekker in : Theoph. Cont. (Bonn, 1848), 761 — 924.

— Grégoire, E'tudes, H. Grégoire, «E'tudes sur le Neuviéme siècle», B, 8 (1933)), 515—550.

— Grégoire, Michel III. et Basile le Macédonien, H. Grégoire, Michel III. et Basile le Macédonien dans les Inscriptions d' Ancyre», B, 5/1 (1929), 327—346.

— Guilland, Comte des Murs, R. Guilland, «E'tudes sur l'Histoire Administrative de l'Empire Byzantin : Le Comte des Murs», B, 34 (1964), 17—23.

— Guilland, Recherches, R. Guilland, Recherches sur les Institutions Byzantines (Berlin/Amsterdam, 1964), 2vols.

— Jenkins, Amperial Centuries, R. Jenkins, Byzantium : The Imperial Centuries A. D. 610—1071 (London, 1966).

— Jenkins, Michael III, R. Jenkins, «Constantine VII's Portrait of Michael III», BAc Belg, 34 (1948), 71—76.
Background of the Scriptores Post Theophanem», DOP, 8 (1954), 11 — 30.

— Jones , LRE, A.H.M. Jones, The Later Roman Empire 284—602. A Social Economic and Administrative Survey. Reprint (Oxford, 1973) 2 vols.

— Les Diaconus, Leonis Diaconi Caloensis Historiae Libri Decem et Liber de Velitatione Bellica Nicephori Augusti, ed. C. B. Hase (Bonn, 1828), 3—178.

— Leo Grammaticus, Leonis Grammaticl Chronographia, ed. I. Bekker (Bonn, 1842), 1—331.

— Mango, Byzantium, C. Mango, Byzantium The Empire of New Rome (London, 1980).

— Jenkins, Scriptores Post Theophanem, R. Jenkins, « The Classical

— Mango, Liquidation, C. Mango, «The Liquidation of I Conoclasm and the Patriarch Photios», in : I Conoclasm (Pauers given at the Ninth Spring Symposium of Byzantine Studtes), ed. A. Bryer an J. Herrin (Birmingham, 1977), 133—140.

— Michaelides-Nuaros, Adelphopoiia, G. Michaelides-Nuaros, Peri tes Adelphopoiias en te Archaia Elladi kai en to Byzantio (Thessalonike, 1952).

— Michel le Syrien, Chronique de Micel le Syrien ed. J. B. Chabot (Paris, 1899—1905), 3 vols.

— Moravcsik, Legenden, G. Moravcsik, «Sagen und Legenden über Kaiser Basileios I.», DOP, 15 (1961), 59—126.

— Nicephore Bryennios, Nicephore Bryennios Histoire, ed. et tr. P. Gautier (Bruxelles, 1975). «= Corpus Fontium Historiae Byzantinae IX».

— Oikonomidés, Préséance, N.Oikonomidés, Les Listes de Préséance Byzantins des IXe — Xe Siècles (Paris, 1972).
State. Eng. Trans. by J. M. Hussey (Oxford, 1957).

— Ostrogorsky, State, G. Ostrogorsky, History of the Byzantine

— Psaltes, Chronikes, B. Psaltes, Grammatik der Byzantinischen Chroniken. Reprint (Gottingen, 1974).

— Psellos, Chron. M. Psellus, Chronographie, ed. F. Renauld (Paris, 1926/1928), 2 vols.

— Pseudo - Symeon, Symeonis Magistri et Logothetae Chronographia, ed. I. Bekker, in : Theoph. Cont. (Bonn, 1838), 601—760.

— Runciman, Romanus Lecapenus, S. Runciman, The Emperor Lecapenus and His Reign. A Study of Tenth - Century Byzantium. Reprint (Cam bridge, 1963).

— Schlumberger, Un Empereur, G. Schlumbeger, Un Emperor Byzantin au Dixième Sièck Nicéphore Phocas (Paris, 1890).

— Scylitzes, I. Scylitzes Synopsis Historiarum, ed. I. Thurn (Berlin, 1973).

— Scylitzes Continuatus, Excerpta ex Breviario Historico Ioannis Scylitzae Couropalatae, ed. I. Bekker in : Cedrenus, vol. II. (Bonn, 1839), 639—744.

— Seibt, Die Skleroi, W. Seibt, Die Skleroi : Eine Prosopographisch - Sigillographische Studie (Wien, 1976).

— Theophanes, Theophanis Chronographia, ed. C. De Boor (Leipzig, 1883—1885), 2 vols.

— Theoph. Cont. Theophanes Continuatus, Ioannes Cameniata, Symeon Magister, Georgius Monachus Continuatus, ed. I. Bekker (Bonn, 1838), 1—211 and 354—481.

— Toynbee, Constantine, A. Toynbee, Constantine Porphyrogenitus and His World (London, 1973).

— Vasiliev, Byzance et les Arabes, A. A. Vasiliev, Byzance et les Arabes I : La Dynastie d, Amorium (820—867); ii : La Dynastie Macédonienne (867—959). Ed. francaise par H. Gregoire, M. Canard (Bruxelles, 1935, 1950).

— Vasiliev, Russian Attack, A. A. Vasiliev, The Russian Attack on Constantinople in 860 A.D. (Cambridge/Mass., 1946).

— Vita Basilii Imperatoris, Constantine Porphyrogenitus, Historia De Vita Et Rebus Gestis Basilii Inclyti Imperatoris, ed I. Bekker, in : Theoph. Cont. (Bonn, 1858), 211—353.

— Vryonis, Demokratia, S. Vryonis, «Byzantine Demokratia and the Guilds in the Eleventh Century», DOP, 17 (1963), 237—314.

— Vryonis, Medieval Hellenism, S. Vryonis, The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the Eleventh through the Fifteenth Century (Berkley, Los Angeles/ London, 1971).

— Vryonis, Time of Troubles, S. Vryonis, The Internal History of Byzantium during the 'Time of Troubles, 1057-81 (Diss— ertation, Harvard, 1956).

— Zonaras, Ioannis Zonarae Epitomae Historiarum, edd. M. Pinder and Th. Püttner — Wobst (Bonn, 1841—1897), 3 vols.

— Z R V I, Zbornik Radova Vizantoloskog Instituta.